القديس في الجحيم



تأليف : ليسلي تشارتريس
ترجمة : صادق راشد


القديس في الجحيم
١٠ قروش
في : ج.ع.م

سُور الأزبكية

عُمر زَينبْ يوسُف

القديس فى الجحيم

تأليف : ليسلى تشارتريس
ترجمة : صادق راشد

الفصل الاول

كان نادى الرفاق يشغل الطابق الأخير من ذلك المبنى الشاهق المشيد على أحدث طراز ، والذى يطل على حديقة سنترال بارك فى مدينة نيويورك .

وكانت للنادى شرفة كبيرة فسيحة الأرجاء تشرف على الحديقة ، حيث تأخذ العين عشاقا يتبادلون النجوى والهمســـات الحالمة ، وأطفالا يلعبـــون فى مرح ومن شفاههم تنطلق الضحكات الرنانة .

وفى الشرفة كان ســـيمون تمبلار المعروف باســـم القديس متراخيا فى مقعد كبير ، مادا ساقيه أمامه فى تكاسل ، وبصره سارح فى الافق البعيد ، يتأمل العمارات الشاهقة التى تطاول السماء ، كأنها مردة من الجن .

وفى هذه الجلسة الخاملة المسترخية لم يكن يبدو على تمبلار أنه ذلك المغامر الذى طبقت شهرته الآفاق، والذى دوخ كل شرطى فى العالم ، وبث الرعب فى قلوب عتاة المجرمين فى دنيا الجريمة .

نعم .. كان القديس مغامرا ، تسرى فى بدنه دماء المغامرة جارفة مكتسحة ، وينبض كل عرق فى جسده بالمغامرة المتدفقة ، فان لم يجد شيئا يعمله — تسلق قمـــة شجرة أو قذف بنفسه الى فوهـــة بركان من البراكين . واذا عز عليه أن يكشف النقـــاب عن سر عصابة من المجرمين فانه لا يتردد فى أن يضرب فى مجاهل الارض ليكشف بلادا مجهولة أو طائفة بدائية من الناس لا يعرف عنها أحد شيئا .

فى يوم من الأيام كان لصا ــ ولكنه كان لصا شريفا . . لم يكن أبدا يسرق لنفسه ــ وانما كان يسرق لغيره . . . كان يأخذ من الاغنياء الظالمين ليعطى الفقــراء المساكين ، وما يسمع عن انسان فى محنة ــ رجلا كان او امرأة ــ الا خف الى نجدته سراعا ، وهو من أجــل انقاذ الضحية لا يتردد فى أن ينحرف عن مسار القانون، فيقدم على أعمال غير مشروعة .

ولهذا انطلق البوليس فى أعقابه ، ولكنه عرف كيف يدوخ البوليس .

نصبوا له الكمائن فأفلت ، طاردوه وضيقوا علــيه الخناق فتسلل من بين أيديهم كأنه شبح من الاشباح . . . تحدوه فتحداهم ، وناضلوه فناضلهم ، وخـــرج من النضـــال فائزا منتصرا ، تعلو شفتيه ابتســـامة هازئة .

ثم تاب وارعوى ، وانقلب عــدوا على الجريمـــة والمجرمين ، وأعلنها حربا شعواء على زعماء العصابات الذين يغرقون الارض فى بحر الدماء ليشبعوا فى أنفسهم شهوة الدم المراق .

وعرف له رجال الشرطة توبته ، فكانوا يجيئون اليه سرا يسألونه العون اذا ما أدلهم الامر ، وغمض عليهم ازاحة الستر عن جريمة من الجــرائم ، فينطلق الى المغامرة سعيدا تتأجج فى عروقه دماء النضال .

ومع ذلك فقد كان رجال الشرطة يخشـــون جانبه دائما ، اذ كانوا يتوقعون منه أن ينال لنفسه نصيبا من الغنيمة ويعرفون أنه يأبى يعود صفر اليدين .

ولكن ذلك المغامر الجسور كان فى تلك الايام مخلدا الى السكينة ، كأنما نضبت الدنيا من المغامرات ، وكأنما الناس جميعا أصبحوا ملائكة قديسين .

ولهذا رأيناه اليوم — وأياما أخرى — فوق مقعده فى نادى الرفاق : كسولا متراخيا ، يقلب عينيه فى الصحف وقد طغى عليه شعور من السآمة والملل .

دارت عيناه فى الصحيفة المنشورة بين يديه ، وغمغم يقول فى نفسه :

— لا شيء ... لا شيء على الاطلاق ... أحداث تافهة تستطيع الشرطة أن تحل غوامضها ، ولا تحتاج الى القديس .

وتنهد فى حسرة ، وطوى الصحيفة ، وغمغم يقول فى نفسه :

— ليت شعرى ما الذى جرى هذه الايام .. ؟ أليس ثمة مغامرة واحدة أتسلى بها .. ؟

وانتبه القديس من استغراقه فى خواطره على صوت جاءه من ورائه يقول :

— هل أنت متأكد من أن مستر تمبلار غير موجود..؟

وغاص سيمون تمبلار فى مقعده الفوتيل حتى لايلمحه ذلك الذى يسأل عنه .

ثم سمع القديس صوت الساقى الزنجى للنادى وهو يجيب :

— انى متأكد يا سيدى من أن مستر تمبلار غير موجود ، وان كان من المستحيل أن يتأكد المرء من شيء بالنسبة الى مستر تمبلار . فهو يحضر فجأة ويغيب فجأة دون أن تشعر ، وقد يطلب كأسا ، وقبل أن يتناوله من يدى يكون قد تلاشى فىالهواء كأنه شبح خفى .

وعاد الرجل الاول يقول فى صوت منزعج :

— ولكن يجب أن أراه .. ! لابد أن ألقاه .. !

وتألقت عينا تمبلار جذوة متأججة ، فقد عرف أن هناك مغامرة فى الطريق .

وقال الساقى الزنجى : — أنى آسف يا سيدى .. كان مستر تمبلار هنا الليلة ، ولكنه اختفى فجأة ولا أعرف متى يعود يا مستر لويس .

سمع تمبلار هذا الحديث وهو غائص فى مقعده الفوتيل بحيث لم يفطن الرجلان الى وجوده على كثب منهما .

واستدار القديس قليلا فى مقعده ، واختلس نظرة متلصصة الى ذلك الرجل الذى يسأل عنه ، والذى يدعى مستر لويس .

كان رجلا فى الستين من العمر ، يعلو الشعر الابيض راسه ، وتنتشر فى وجهه الغضون ، وتنم هيئته بوجه عام على انه رجل أعمال من المكافحين .

وسمع الرجل يقول فى صوت محزون :

— اذن سأعود مرة أخرى .

وفى طريقه الى الباب مر بمقعد القديس ، فاعتدل هذا فى جلسته وقال فى صوت ذى ايقاع خلاب .

— ألا تحب أن تجلس قليلا .. ؟ هذا الركن من الشرفة هادىء مريح يا مستر لويس .

وتسمرت قدما الرجل الكهل فى الارض ، وتطلع الى القديس قائلا :

— كيف عرفت اسمى يا سيدى .. ؟ اننا لم نلتق يوما من قبل .. !

وافترت شفتا القديس عن أسنان بيضاء وابتسامة تشع ضياء ، وأجاب :

— ليس فى الامر سر مستغلق ... لقد سمعت جيريمياه يناديك بهذا الاسم .. ثم انك كنت تبحث عنى .. ؟ ألست تريد أن تلقانى ... ؟

وحملق الرجل فى ذلك الذى كان يجلس أمامه على المقعد متراخيا متبلدا ، وقال والدهشة تعقد لسانه :

ـ هل أنت .. هل أنت مستر تمبلار .. ؟

ـ هو بعينه ... سيمون تمبلار الشهير باسم القديس .

وأسرع الرجل الكهل يمد يده الى تمبلار ، ويشد على كفه فى قوة وحرارة ، وهو يقول :

ـ اننى أدعى جارى لويس .. وأعمل فى التعدين .. صاحب مناجم .

واستوى الرجل جالسا على مقعد أمام القديس ، وأشار تمبلار الى الساقى جيريمياه بأن يحمل اليهما أقداح الشراب .

وتساءل القديس : ـ والآن حدثنى بما تبغى منى ..؟ أيريد أحد أن يسرق مناجمك ، وان ينقلها الى بيته ..؟

ولم يكن مستر لويس خبيرا بأساليب القديس وميله الى الدعابة ، فقال وقد تجلت الدهشة فى أساريره :

ـ وهل يمكن أن تنقل المناجم من مكانها وتوضع فى البيوت .. ؟

فابتسم القديس وقال :

ـ هون عليك يا مستر لويس ولا تنزعج ... اذا سرقوا منجمك فسأعيده اليك داخل علبة مغلقة لا يستطيع أحد أن يحطم قفلها .

واشتدت الدهشة بمستر لويس وقال :

ـ ولكن هل يمكن أن ...

ثم عدل عن اتمام عبارته وقال : ـ على اية حال ليس منجمى معرضا لاى خطر .. لعلك سمعت عنه ..؟ انه منجم ماتاكورى ... فى بلاد المكسيك .

ـ اذن حدثنى بما لديك فقد اشتدت لهفتى ... أين يجثم الخطر اذن ..؟
ورشف لويس جرعة كبيرة من كأسه وقال :
ـ الحق انى لا ادرى أين يكمن الخطـر ، بل انى لا أدرى ان كان هناك خطر أم لا ... اسمع يا مستر تمبلار ... اننى رجل غنى ... غنى جدا ، بل لعلنى أغنى مما تتصـور ..
وسأله تمبلار : ـ هل أنت متزوج ..؟
ـ بل انى مطلق ... منذ زمن طويل .
ـ ألزوجتك نصيب فى منجمك .. ؟ أهذا هو الذى يثير قلقك .. ؟
ـ لا .. لا .. على الاطلاق ... هذا شىء لا يشغل بـالى .
ـ أيكون أولادك مصدر قلقك .. ! أم أهلك مثلا ..؟
وأيضا كان الجواب بالنفى .
وقال القديس : ـ ان أمرك لعجيب يا صديقى ..! تأتى الى النادى قلقا منزعجا ، وتقلب الدنيا بحثا عنى، ثـم نلتقى فاذا بك صـامت لا تتكلم كأنك أصـبت بالخرس .. ؟ ما الذى دهاك .. ؟
وفجأة انبعث لويس واقفا ، وارتد خطوة الى الوراء كأنما مسه تيار كهربائى ، حتى لقد انزلقت النظارة عن أنفه وكادت تسقط أرضا .
وغمغم الرجل فى ارتباك : ـ لقد حذرونى ... نعم حذرونى منك ..! انى خائف .
وسأله تمبلار : ـ أخائف أنت من الخـطر الذى يتهـدد .. ؟
ـ بل خائف منك أنت .. انى أتساءل عما اذا كان من الحكمة ان أفضى اليك بسرى ...

واستدار ليمشي ، فسأله القديس :
— الى أين أنت ذاهب .. ؟
وتطلع مستر لويس الى القديس بعينين مذعورتين كأنما يرى أمامه عفريتا من الجن .
ثم تمالك جأشه وقال : — غدا ... اذا كنت غير مرتبط بموعد آخر ، فتعال زرني في بيتي فقد أفضي اليك بسري .. فاذا لم تجدني فأعلم أنني عدلت عن رأيي ، ولن أحدثك بشيء مما لدي .

وابتعد مسرعا كمن يجري ، حتى لقد كاد يتعثر في خطاه ، وكأن في أعقابه من يطارده ويدفعه الى الفرار .

وأومأ سيمون تمبلار الى الساقي الزنجي وسأله :

— قل لي ... ما الذي دهى مستر لويس .. ؟ أهو دائما منفعل مهتاج الاعصاب على هذا النحو ، أم أن بعقله لوثة .. ؟

فأجاب الساقي الزنجي : — الحق أني لست أدري يا سيدي .
— هل أفرط في شرب الخمر قبل أن يلقاني .. ؟

— كلا يا سيدي ، فانه لم يتوقف بالبار لحظة واحدة .

ورأى تمبلار أن لا فائدة ترجى من وراء موالاة الاسئلة فصرف الزنجي ، وتناول البطاقة التي ألقى بها مستر لويس على المائدة عند انصرافه ، وتطلع الى العنوان وقد استقر رأيه على أن يمضي في الصباح التالي الى بيت هذا الرجل العجيب الذي جاء اليه مهرولا يسعى ، ثم اذا به فجأة يهرول راكضا مبتعدا .

ما أن انقضت ساعة واحدة ، وتمبلار ما زال غارقا فى مقعده فى شرفة نادى الرفاق ، حتى دعى الى التليفون ، وكان المتحدث هو نفسه مستر لويس .

قال : — مستر تمبلار ..؟ انى سعيد بأن وجدت انك لم تنصرف بعد .. لقد حاولوا أن يقتلونى .

— حاولوا أن يقتلوك .. ؟ من هم .. ؟

— يسعدنى أن نتناول العشاء معا ، وعندها سوف احكى لك كل شىء .

واتفقا على اللقاء فى بيت مستر لويس .

كان مستر لويس يقيم فى شارع بارك أفنيو فى بيت رائع بادى الفخامة ، حتى لكأنه قصر من القصور ، واقتيد القديس عبر بهو فسيح الارجاء حفلت جدرانه بأروع التحف واللوحات ، وما أن تخطى عتبة قاعة الاستقبال ، حتى تسمر مكانه مذهولا .

وتلقاه مضيفه مرحبا بقوله فى مرح وبساطة :

— ادخل يا مستر تمبلار ... ادخل .. فسوف ترى ما هو أشد اثارة للذهول .

وبسط اليه يده مرحبا ، ودعاه الى مائدة تتوسط القاعة صفت فوقها أفخر أنواع الشراب .

واستطرد مستر لويس يقول : — ألم أقل لك اننى رجل واسع الثراء .. ؟ تأمل ما حواليك ... كل هذه التحف ابتعتها لأنى لا ادرى ما أصنع بأموالى .. لقد جعلت من بيتى متحفا للحضارات القديمة ، وكل قاعة فيه تمثل طرازا معينا من الحضارة البدائية ، وقد ابتعت معظم هذه التحف من المكسيك .

ودار تمبلار بعينيه فيما حوله يتأمل الجدران ، ثم قال :

ـ هذه القاعة فيما أرى تمثل حضارة جزر المحيط الاطلسى .

ـ تماما يا مستر تمبلار ، وقد جمعت فيها كل ما هو غريب وشـــاذ من جزر الباك والبولونيز . وفى قاعة أخرى ستجد الحضارة الهندية القديمة التى تكشف عن المذاهب الدينية التى كانت سائدة فى العصور البائدة.. أما الحضارة الكاريبية ..

فقاطعه سيمون تمبلار بقوله : ـ العمل هذا هو السر فى اضطرابك مساء اليوم عندما التقينا فى النادى، اذ يبدو أن أمر متحفك لم يعد على الناس سرا خفيا ، ولهذا بدأت تخشى أن تمتد اليه يد بالسرقة .. ؟

فهز مستر لويس كتفيه وقال مراوغا :

ـ انى لا أهدف من وراء هذا المتحف الا لاغراض علمية بحتة ، ولكن وقع حادث مفاجىء أثارنى .

فقال تمبلار : ـ انك أشرت فى حديثك التليفونى معى الى محاولة لاغتيالك ، فهيا حدثنى بما كان ، فهذا هو الامر الذى يثير اهتمامى .

وأجاب مستر لويس قائلا : عنـــدما انصرفت من النادى كنت شديد الاضطراب .

فقاطعه القديس باسما : ـ كان الامر واضحا الى درجة أثارت عجبى وفضولى .

واستطرد مستر لويس : ـ ولم يكن لى من هدف معين أمضى اليه ، فمشيت أسرع الخطى لفرط اضطرابى دون أن ألقى بالا الى مخلوق ، وعند ناصية الشارع الثامن والسبعين ، فوجئت وأنا أعبر الطريق ...

فقاطعه القديس مكملا الحديث : ـ بسيارة تخرج عليك فجأة مسرعة ، فصرخ الناس ، وأطلق الشرطى صفارته محذرا ، وكادت السيارة أن تدهمك لولا أنك

نجوت بمعجزة . واختفت السيارة فجأة كما ظهرت فجأة ، دون أن تتاح لأحد فرصة لالتقاط رقمها ، ولم يكن هناك شاهد واحد يستطيع أن يدلى بأوصاف السائق ، وانطلقت شرطة النجدة وراء السيارة الهاربة، ولكن أحدا لم يهتد الى آثارها .

وحملق مستر لويس فى القديس وقال فى استغراب :

— عجبا .. ! هذا هو ما حدث تماما ، فهل كنت حاضرا .. ؟

فابتسم القديس قائلا : — كنت حاضرا بالخيال ... مجرد تجارب .. ولكن أليست لديك أنت فكرة عمن يكون هذا السائق ... ؟

وهز مستر لويس رأسه نفيا ، وسأله القديس :

— أمتأكد أنت انك كنت المقصود .. ؟

— دون شك ، فما كان يعبر الطريق فى هذه اللحظة سواى ... ثم ان السيارة خرجت فجأة من الشارع الجانبى مندفعة بأقصى سرعتها .

— والدافع الى الجريمة .. ؟ لم يخطر ببالك أن هناك دافعا معينا .. ؟

فأجاب مستر لويس : — لقد فكرت فى هذا فعلا ، وساءلت نفسى عن الدافع الخفى وراء محاولة اغتيالى ... اننى من علماء الآثار كما لعلك تبينت هذا من متحفى يا مستر تمبلار ، ولدى هنا مئات من التحف جئت بها من معابد البدائيين ، فلعل أحدا من هذه الطوائف أراد أن يسترد ما استوليت عليه ، أم أن أحدا من العلماء المنافسين يريد أن يزيحنى من الطريق ، أو أن شؤم بعض الآثار القديمة قد حل على ، فأحاطت بى لعنة الموت ... اننى رجل أومن بالخرافات .. تعالى معى.

وأخذ بيد القديس ، ومضى به الى قاعة أخرى

أصغر حجما ، وقال وهو يومىء بيده الى الدواليب المصفوفة والرسومات التى تدور بالجدران .

ـ هنا تجد تاريخ القبائل البدائية الكاريبية منسقا ومبوبا .. ثم تاريخ الارقاء العبيد الذين نزحوا من أفريقيا الى جزر البحر الكاريبى ، وما جاءوا به من مذاهب دينية وخرافات وأساطير ... وقد نشأ عن اندماج الاساطير الكاريبية بالافريقية مذهب جديد هو الفودو . وكانت لقبائل الفودو آثار أخرى تختلف فى طبيعتها عن آثار أسلافهم ، وهى تلك التى تراها فى هذه الناحية من القاعة .

واستقر بصر القديس على حيث أشار مستر لويس فرأى مجموعة من التحف من بينها سهام وأقواس وريش ملون وقطع من الحجارة منحوت عليها بعض الكلمات ، وصنادل من الجلد وجماجم آدمية ، كما رأى فى الناحية الأخرى جلد الثعبان المقدس وملابس مزركشة لأحد السحرة وأقنعة ملونة ومخططة مما يلبسه كهنة القبائل البدائية .

وضحك مستر لويس وقال : ـ انك لا شك سوف تسخر منى حين أعترف لك بأننى بعد أن جمعت هذه التحف بدأت أشعر بأن لعنة الفودو حلت على وان هناك أطيافا من الشر تحوم فوق رأسى أننى نبشت قبور الفودو واستوليت على مقتنياتهم فحلت على لعنتهم المقدسة .

ـ اذن فأنت تؤمن بالخرافات .. ؟

فأجاب مستر لويس : ـ ايمانا مطلقا ... وسوف اروى لك ونحن على العشاء نوادر عجيبة تكشف لك حقيقة واقعة لا نؤمن بها نحن أبناء العصر الحديث وهى أن للخرافات لعنة تصيب الناس من حيث لا يدرون .

ثم أردف مستر لويس ضاحكا :

ــ وكل ما أرجوه أن لا تحيق بك اللعنة وأنت تتعشى معى حتى لا تصاب بالتسمم .

وكان جواب القديس : ــ كن مطمئنا ، فان السم الذى يؤثر فى لم يخترع بعد .

الفصل الثانى

ما أن وضع الخدم صحاف الطعام على المائدة حتى امرهم لويس بالانصراف ليخلو له الجو مع القديس .

وقال لويس : ــ لقد حدثتك يا مستر تمبلار عن الفودو ، تلك الطائفة الدينية ذات التقاليد العجيبة البدائية ، وهم وان كانوا قد اندثروا منذ زمن طويل الا أن لهم اتباعا متحمسين ما زالوا حتى اليوم يأخذون بتلك التقاليد ، ويسكنون جزر الانتيل . وهم يمارسون نفس الطقوس الدينية القديمة ، وقد رأيتهم بنفسى فى الولايات المتحدة ، وخاصة فى ولايات لويزيانا وفرجينيا.

فأومأ سيمون تمبلار برأسه مؤمنا وهو يقول :

ــ وأنا نفسى أتيحت لى الفرصة لمشاهدة مثل هذه الطقوس فى جامايكا ، وقد اتفق لى وأنا هناك أن وقعت لى مغامرة مثيرة مع ساحر الطائفة ... ولكن هل هدتك أبحاثك الى وجود الفودو الاصليين فى جامايكا .. ؟

ــ انهم موجودون فعلا ولكن فى جزر المارتنيك وجوادلوب ومارى جالانت وبصفة خاصة فى هيسبانيولا

وقد ألقى لويس بالاسم الاخير فى نبرة احترام تخالطها لمسة من الخوف ، حتى ليخيل اليك أنه هو نفسه مؤمن بهذا المذهب البدائى .

واستطرد لويس قائلا : ــ الهيسبانيولا يا مستر تمبلار منطقة نائية تقع فى جمهورية دومينيكا ، حيث

لا يزال يعيش احفاد العبيد الارقاء الذين جىء بهم من افريقيا ، واللغة الشائعة بينهم خليط من الفرنسية والاسبانية . وقد اعتنق رهط منهم المسيحية ، ولكنهم ادخلوا عليها مذهب الفودو وتقاليده .

والتهم تمبلار قطعة كبيرة من البفتيك الشهى وقال :

ــ لقد درست أنا نفسى مذهب الفودو الى حد ما ، وأعرف أنه منتشر أكثر مما تتصور فى كثير من مناطق أمريكا الجنوبية .

فأومأ مستر لويس بيده معترضا وهو يقول :

ــ ولكنى لا أتحدث الآن عن الفودو ، وانما أتحدث عن الهيسبانيولا .. ان ما شهدته منهم اما خرافات لا يصدقها العقل ، وأما معجزات مذهلة .

فتساءل القديس : ــ ومثال ذلك .. ؟

فأجاب لويس فى خشوع : ــ مثل احياء الموتى .. .أو بعبارة خرى مثل الاموات الاحياء .

فقال تمبلار فى شىء من التلهف : ــ اذن حدثنى عن ذلك فأننى مشوق لأن أسمع ما لديك .

واستطرد لويس يقول : ــ الزومبى مذهب متفرع من ديانة الفودو ، والزمبيون يعتقدن أن الميت الشرير لا يبقى فى قبره ، وانما يحوم حول أسرته وجيرانه ، ويأتى من الاعمال ما يثير انزعاجهم . وقد تلقاه فى طريقك أو فى أحد المطاعم فيتحدث اليك ويجلس معك ، وأنت لا تدرى أنه أحد الاموات الاحياء . ولا يمكن أن يستقر فى قبره الا اذا أرغم على العودة اليه باجراء طقوس دينية معينة .

وقال تمبلار : ــ وهل عودة الاموات الى الحياة هى التى تثير فزعك .. ؟ أتخشى أحدا من الاموات ..؟

فأومأ لويس برأسه ايجابا وقال : ــ هنــاك نوعان من الزومبى : الحقيقى الاصيل ، والكاذب المزيف . والاصيل الذى يعرف أسرار المذهب اذا أراد أن يتخلص من أحد أعدائه فانه يحقنه بمادة لا يعرفها أحد سواهم، وهذه المادة تجرده من الذكاء والقدرة على الفهم .. انها عبارة عن « غسيل للمخ » . وهذه العملية كمــا ترى جريمة مستترة .

فقال القديس معقبا : ــ انها شبيهة بما كان يجرى فى معسكرات الاعتقال فى ألمانيا النازية .

فقال لويس : ــ شيء من هذا القبيل ، وان كان أشد تعقيدا وخطورة . ولهذا أردت أن أتحــدث اليك عن هؤلاء الاموات الاحياء .

وساد الصمت هنيهة ثم استتلى لويس يقول :

ــ هؤلاء الاموات الاحياء عمالقة الاجســام أقوياء البنية . وتدهشك منهم ضخامة الاجساد فى حين أن عقولهم تافهة فارغة كعقول الاطفال .

فقال تمبلار ضاحكا : ــ ليس الامر بالغريب على ، فصديقى هوبى يونياتز ضخم الجسم كأنه عملاق ، ولكن له عقل عصــفور ... عقله شبيه بالبنــدقية الفارغة .

فقال لويس : ــ ليس هذا ما أعنيه ... انهم أطفال فعلا ... انهم لا يقدرون على النطق بل تراهم دائما يتهتهون ويتعثرون فى الكلام رغم ضخامة أجسادهم .

فقال تمبلار مغمغما : ــ هذا غريب .

وصحب لويس ضيفه الى القاعة المخصصة للآثار الكاريبية ، ورأى تمبلار فى أحد الدواليب ثعبانا محنطا ففحصه ثم قال لصاحبه :

ـــ هل تعتقد أن الثعبان المقدس الذى يعبده الفودو هو أصل هذه الاساطير والخرافات ومصدرها ..؟
ـــ الحق انى لا أدرى ، ولكن من المحتمل جدا أن سم الثعبان المقدس هو الذى يحدث هذه التغيرات فى جسم الانسان فيجعله فاقد العقل عملاق الجسم ... ولكن هؤلاء الاموات الاحياء يتكلمون وكأن شبحا خفيا هو الذى يلقنهم ما يرددون .
ـــ أيكون الكاهن الاكبر هو الذى يسيطر على أرواحهم بطريقة ما .. ؟
ـــ ربما ... لعله هو الذى يحقنهم بالسم الخفى.. غير اننى لاحظت انهم عندما يتحدثون عن الكاهن الاكبر فانهم يتكلمون فى خشوع وتقديس .
وغرق القديس برهة فى خواطره ، ودخان سيجارته يتصاعد فوق رأسه حلقات تتلوى .
وفجأة التفت الى مضيفه قائلا :
ـــ ما الذى استخلصته من كل هذا ..؟ من أبحاثك ودراساتك لما كتبه علماء الآثار ..؟ هل تعتقد ان هؤلاء البلهاء ضحية للسحرة .. ؟
ـــ لا أملك أن أدلى اليك باجابة قاطعة .
ـــ وأين قابلت هؤلاء القوم الشواذ ..؟ فى سانت دومينجو أو فى كاب هاينى ..؟
لا فى هذا ولا فى ذاك .. لقد قابلتهم على الحـــدود بين الجمهوريتين فى بقعة معزولة لا يكاد يطرقها أحد . وقد أرشدنى بعض الاهالى الى الموقع الذى يقيمون فيه ، فتسللت اليه أثناء احتفال أقاموه للطقوس الدينية. وعندما رأونى حدجونى بنظرة شزراء يتطاير منها شرر الغضب .

وقال القديس متسائلا : ــ هل لى أن أفهم من حديثك ان الامر ليس قاصرا على حفنة قليلة من الرجال ، وان عددهم كبير .
ــ انهم لا يقلون عن عشرين شخصا ، وكلهم متشابهون . حتى لا تكاد تفرق أحدهم عن الآخر .
وقال القديس : ــ حسنا ... يمكنك أن تعتمد على .
وأشرق وجه لويس وقال فى ابتهاج : ــ أتقول حقا .؟
ــ أليس هذا هو ما جئت ترجونى أن افعله ..؟ انك تريد منى أن أصحبك الى تلك المنطقة ، وانى لعلى أتم الاستعداد .
وأشرق وجه مستر لويس وقال فى استغراب .
ــ انى لا أصدق هذا .
فأجابه القديس ضاحكا : ــ أما عرفت اننى رجل اغيث الملهوف وأخف الى نجدة المكروبين ، فكيف أحجم اذن عن مساعدتك .. ؟ لو اننى احجمت لما كنت جديرا بلقب القديس ... ولكن متى نرحل .. ؟ كلما عجلنا كان هذا افضل .
وقال لويس متسائلا : ــ أيوافقك الاسبوع المقبل .؟
ــ ولم الارجاء .. ؟ ما الذى يدعونا الى الانتظار ثمانية أيام . ألا تتوافر الطائرات الا مرة كل أسبوع ..؟
ــ بالعكس .. فهناك رحلة كل يوم ، ولكنى خشيت أن ترفض التعجيل بالسفر .
ــ اذن فلنسافر غدا ، وعليك أن تتولى حجز التذاكر .
ونهض سيمون تمبلار يزمع الانصراف فقال له لويس :
ــ ولكن الا ترى انه يحسن بنا أن نخطر الشرطة حتى يوفدوا ضابطا يرافقنا فى رحلتنا .. ؟
فاستدار اليه سيمون تمبلار قائلا :

ــ ما هذا الذى تقول يا مستر لويس .. ؟ القديس يستعين بالبوليس .. ؟ لا شك أنك تمزح .. ! اننى رجل مولع بركوب الاخطار ، ولا أحب أن يشاركنى أحد وأنا أقذف بنفسى الى فوهة البركان .

ــ ولكنك لا تعلم أى خطر يتهددك ..! انك لا تعلم ما الذى سيواجهك هناك ... ان ما سوف تراه قد يكون أفظع من الموت .

فقال القديس وعلى شفتيه تتلاعب ابتسامة استخفاف :

ــ اذن فسوف تكون رحلة رائعة ممتعة .

فى الصباح الباكر استقل لويس سيارته يقودها بنفسه ومتجها الى المتحف دون أن يفطن الى أن هناك سيارة منطلقة فى أعقابه .

وأوقف سيارته فى ساحة الانتظار عند المتحف ، وهبط منها يسير على قدميه .

وما أن تقدم بضع خطوات حتى دنا منه رجل لا يعرفه واعترض طريقه يسأله :

ــ هل أنت مستر لويس .. ؟

واذ رد بالايجاب قال له الرجل الغريب :

ــ لقد أوفدنى مستر تمبلار لابحث عنك لانه يريد أن يلقاك فى الحال .

ودون أن ينتظر منه ردا تأبط ذراعه فى قبضة متشبثة، ودفع به الى سيارة أخرى كانت تسير الهوينا فى أعقابه وقبل أن تتاح للويس فرصة للاعتراض أو الاحتجاج ألفى نفسه مستقرا على مقعد السيارة ، وقد أنصفق الباب ، والى جانبه الرجل الغريب ، والسيارة تتحرك بسرعة .

وتطلع لويس الى الرجل الذى بجانبه وسأله فى دهشة :

ـ الى أين تذهب بى .. ؟

وكان الرد الوحيد الذى تلقاه أن أبرز الرجل الغريب مسدسه ، ولكزه بالفوهة فى أضلاعه وهو يقول :

ـ اذا أخلدت الى السكون فلن يصيبك أذى ، أما ان حاولت أن تستنجد أو تقاوم فالويل لك .

وكان لويس من الحكمة والاتزان بحيث لزم الصمت، وآثر الاذعان ، فما كان فى وسعه أن يجابه رصاصة قد تنطلق فى أية لحظة فترديه ميتا .

واتجهت السيارة الى الشمال ، وهو لائذ بالصمت ، ولكنه ما لبث أن عاد يتساءل :

ـ أريد أن أعرف الى أين تذهب بى .

وفى هذه المرة تلقى ردا مختلفا : كان الرد ضربة بمقبض المسدس فوق نافوخه .. تراخى لويس فى مقعده ، وما لبث أن فقد الوعى دون أن يصدر منه صوت .

اجتازت السيارة نهر هارليم ، وبدأت تطوى منطقة برونكس متجهة الى نيوهافين ، ولكن السائق لم يسر فى الطريق المباشر المألوف ، وانما اتخذ طريقا طويلا متعرجا ، ثم انحرف الى منطقة واسعة من الارض الفضاء غير الممهدة التى تنتشر فيها المصانع الصغيرة ، حتى انتهى الى أرض مهجورة لا يطرقها انسان ، وانما اتخذت مستودعا تكدس فيه القمامة .

وهناك جرت « العملية » بسرعة مدهشة .

فتشت جيوب لويس ، وأخرج ما فيها من أوراق وبطاقة شخصية ، وانتزعت من الملابس كل علامة تدل على المتجر الذى اشتريت منه حتى تبدو شخصية

الرجل مجهولة لا يهتدى اليها انسان .
وبعد ذلك أخرج الرجل مسدسه وأطلق رصاصة على رأس لويس أردته جثة هامدة . وكان لويس لا يزال غائبا عن وعيه ، ولذلك لم يشعر بأى ألم ، ولم تداخله ذرة من الخوف . وكانت هذه نعمة يحسدها عليه الكثيرون : أن يموت الانسان دون خوف أو ألم .

وبعد ذلك سارت السيارة قليلا ، وقذف من فيها بجثة مستر لويس وسط تلال القمامة المكدسة ، فكانت بذلك مقبرة جديدة على غير ما يعرف الناس ... مقبرة من نوع مختلف بين القاذورات المكومة والزجاجات المهشمة والعلب الفارغة .
وكان من الممكن أن تظل جثة لويس فى مكانها لا يفطن اليها مخلوق ، وكان من الممكن أن تتكدس فوقها تلال جديدة من القمامة — لولا الكرة .

لقد أفلتت من ايدى بعض الصبيان كرة وهم يلعبون ، وتدحرجت الى مقلب القمامة فهرعوا يبحثون عنها .
وشاهد أحد الصبيان رأس لويس بارزة من وسط القمامة فهتف بزملائه :
— هنا ... تعالوا ... لقد عثرت على الكرة .
وانطلقوا اليه جميعا فرحين مهللين ، وأزاحوا القمامة ، فانكشفت عن رأس مستر لويس ، وليس عن الكرة .

ومن أعاجيب القدر أن يعجز المرء عن أن يفرق بين كرة تباع فى المتاجر ببضعة سنتات وبين رأس آدمية أبدع الله — جلت قدرته — فى صنعها وتشكيلها .

ونسى الاولاد الكرة التى كانوا عنها يبحثون ، واهتموا بالرأس الآدمية .

وجاء رجال الشرطة ، وجاء رجال الاسعاف ، ونقلت الجثة الى المستشفى ، وهناك اكتشفوا أنه كان ما زال فى الجثة رمق من الحياة .

وقال الطبيب الذى فحص المصـــاب يخاطب رجال البوليس :

ــ انه ما زال حيا لم يمت بعد ، ولكنه لن يعيش طويلا .

وخرج لويس من غيبوبته ، وأفاق قليلا ، واستطاع أن يغمغم ببعض الكلمات ..

وسأل مفتش الشرطة الطبيب فى لهفة :

ــ اذن فقد تكلم ... ما الذى قاله .. ؟

ــ ظل يطلب منى أن استدعى تمبلار فى الحال .

فقال المفتش : ــ تمبلار .. ؟ لابد أنه يقصد سيمون تمبلار ... القديس . ولكن ألم يذكر اسم من اعتدى عليـــه .

ــ كلا ... كان تمبلار هو الاسم الوحيد الذى جرى به لســـانه .

فعاد المفتش يتساءل : ــ وهل كان يهذى ..؟ أعنى الم يخطر لك أنه كان يقصد أن تمبلار هو الذى أطلق عليه النار .

فقال الطبيب : ــ مستحيل ... كان واضحـــا أن تمبلار صديق له ، وأنه يريد منى أن أستدعيه عـــلى

احسب اننا استرحنا منه ..! رجل مصاب بالرصاص، وملقى فى أرض مهجورة غير مطروقة ، فاذا أفاق فانه لا ينادى أحدا الا هذا اللعين تمبلار .. !

وخبط المفتش فيرناك السماعة فى عنف فوق حاملها ، وأزاح مقعده بحركة مفاجئة فانقلب على الارض ، وانطلق مسرعا يغادر غرفته فتعثر فى السجادة وكاد يقع ، واصطدم بالباب وكاد يشج رأسه .

وان هى الا لحظات حتى كانت سيارة الشرطة تطوى الطريق ونفيرها الصارخ يعكر صفو السكون — متجهة الى المسكن الذى اتخذه المغامر الشهير مقرا لسكناه .

* * *

بتلك الابتسامة المرحة المعهودة تلقى سيمون تمبلار زائره ، وقال يرحب به فى جذل :

— يا لها من مفاجأة سعيدة ... مرحبا بالصديق العزيز جون هنرى .. أنى سعيد بقدومك لتهنئنى بسلامة وصولى الى نيويورك .

وزمجر المفتش فيرناك من بين أسنانه قائلا :

— انى لم أحضر لتهنئتك .

— لاشك اذن انك جئت لتشاطرنى طعام الفطور .. هيا أجلس فالمائدة معدة كما ترى .

— ولا هذا أيضا .. انى ما حضرت لآكل .

— اذن فلا أقل من كأس من الويسكى .

وزمجر فيرناك مرة أخرى : — لا شىء ..! لا أريد شيئا .

— حتى ولا مجرد تبرع لجمعية « رجال الشرطة الأغبياء » .. ؟ هذا شىء يؤسف له ... اذن لماذا أسبغت على بحضورك هذا الشرف العظيم .. ؟

وارتمى المفتش فيرناك على أحد المقاعد وهو يقول :

ـــ هل تعرف رجلا « مجهولا » عثرنا عليه منذ ساعتين فى مقلب القمامة بالقرب من خزان كينسكو مصابا بطلق نارى .. ؟

فقال تمبلار : ـــ طبعا أعرفه ... ما دام رجلا « مجهولا » فلا شك أننى أعرفه ..

ـــ وما اسمه ... أسرع وأجب .

فقال تمبلار : ـــ انه يدعى .. الرجل المجهول .

فقرض المفتش فيرناك على أسنانه وقال :

ـــ هل تمزح .. ؟ أننى أسألك بصفة رسمية : هل تعرف هذا الرجل .. ؟

وتنهد سيمون تمبلار فى يأس وقال :

ـــ وكيف يتسنى لى أن أعرفه وهو رجل مجهول ..؟ ان أسئلتك فى غاية الغباء يا عزيزى هنرى .

ـــ ولكنه ذكر اسمك ... بمجرد أن أفاق من غيبوبته أخذ يردد اسمك ، ويطلب أن نستدعيك فى الحال لمقابلته .

فهز القديس كتفيه فى مرح وقال :

ـــ هذا هو « المجد » يا عزيزى هنرى ... كل الناس يعرفون اسمى ويرددونه .. ! ترى هل تغار منى .. ؟ لعلك كنت تريد من الرجل أن يصيح بمجرد افاقته : « فيرناك .. فيرناك .. ! » .

وأحمر وجه المفتش فيرناك غضبا وصاح :

ـــ كفاك هذارا وأجب على أسئلتى .

ـــ عجبا ... أما زالت لديك أسئلة أخرى غبية ..؟ ألم تجدوا فى جيبه أوراقا تكشف لكم شخصيته .. ؟

وهز فيرناك رأسه نفيا ، وسأله القديس :

ـــ وكيف أصيب بالرصاص ..؟

ــ طلقة مسدس فى عنقه .

فقال القديس : ــ اذن فهى « نزهة بالاكراه » فى الريف ، وانتهت نهاية غير منتظرة لأن الضحية ما زال على قيد الحياة يردد اسمى العظيم .

فقال المفتش فيرناك : ــ حسبك مزاحا وتعال معى.

فقال القديس : ــ ما معنى هذا ..؟ أتريد أن تأخذنى الى « نزهة بالاكراه » ..؟ انك تعلم اننى أرفض هذا النوع من النزهات ... انى سعيد هنا أتناول فطورى فى لذة فدعنى وشأنى .

فقال فيرناك فى الحاح : ــ بل يجب أن تصحبنى .

ــ ولكن الى أين ..؟

ــ الى المستشفى طبعا .

ــ ولكننى لست مريضا .. اننى سليم معافى .

فقال فيرناك وهو يجز على لسانه :

ــ تمبلار .. ! كفاك عبثا بى .. اننى أريد أن أريك الرجل المصاب لتتعرف عليه .

ــ وهبه كان قد مات عند وصولنا ونقل الى المشرحة .. ؟

ــ اذن نذهب الى المشرحة .

ــ ولكنك تعلم اننى لا أطيق رائحة المشرحة ، فهل تعدنى بأن نشترى ونحن فى الطريق زجاجة من الكلونيا .. ؟

وبعد لحظات كانت سيارة الشرطة منطلقة بهما الى المستشفى .

* * *

كان لويس ممددا على سريره فى المستشفى ، مطبق العينين ساكن الحركة .

واقترب سيمون تمبلار من الفراش ومال فوقه ، على

حين وقف فيرناك عند رأس السرير يرقب المشهد الذى يجرى تحت عينيه .

همس تمبلار : ــ لويس .. لويس .. أنا القديس..!
انك كنت تطلبنى .. وهاأنذا قد جئت ... والآن حرك أهدابك اذا كنت قد فهمت ما قلته .

وفى جهد وفى بطء تحركت أهداب الرجل المسجى على الفراش شبيها بالموتى .

وتقدم المفتش فيرناك من السرير وقال يخاطب المصاب :

ــ ها هو تمبلار أمامك فأطلب منه ما كنت تريد أن..

ولكن تمبلار تجاهل رجل الشرطة ، واستطرد يقول:

ــ انك لم تفض الى بكل ما لديك ، أليس كذلك .. ؟
أتعرف من حاولوا اغتيالك .. ؟ من هم .. ؟ من يكونون .. ؟

وتحركت الشفتان فى جهد خارق ، وخرجت من بينهما كلمات متقطعة لا تكاد تسمع :

ــ اننى ... لا ... أعرفهم .

وقال القديس : ــ انك وعدتنى بأن نذهب معا فى الغد الى هناك ، فهل أذهب وحدى ..؟

وتقبضت الاصابع التى تحتضر على يد تمبلار ، وتشبثت بها فى قوة ، وقال فى كلمات مهتزة متداخلة ،

ــ لا .. لا .. أولا ... جانى ... المكسيك .

فقال تمبلار : ــ اطمئن ... اقسم اننى سأنفذ رغبتك .

وبذل الرجل الذى يحتضر جهدا خارقا لكى يغمغم :

ــ احمها ... انقذها .. !

ثم بدأت قواه تخذله وتضمحل ، ولكنه استطاع اخيرا أن يهمس :

أوران ... أورانكوبا ..

ثم مالت رأسه الى الوراء ، وانحدرت على الوسادة ، وأسرع اليه الطبيب يقيس نبضه ، ثم رفع رأسه قائلا :

ــ لقد مات .

وأخذ المفتش فيرناك بذراع القديس وهو يقول :

ــ تعال معى فان لى معك حديثا طويلا .

فأجابه القديس : ــ انى رهن اشارتك .

ــ الآن حدثنى بما لديك .. بكل ما تعرف ..

ــ بكل ارتياح ... هذا الرجل يدعى مستر جارى س . لويس ، وهو من أصحاب الملايين ، ويقيم فى بارك أفنيو . وقد تناولنا العشاء معا مساء الامس ، وقدم الى طعاما شهيا لم أذق مثــله فى حياتى ، فالبوفتيك مثلا ...

فقاطعه المفتش فيرناك وهو يحاول أن يكظم غضبه :

ــ دعنا من البوفتيك ، وحدثنى عما بينكما من أسرار .

فقال القديس : ــ وكيف تكون بيننا أسرار وقد مات قبل أن يفضى الى بشىء ..؟

ــ ولكنك وعدته الآن أمامى أن تذهب الى « هناك » .. فأين تقع « هناك » هذه ، وما هى .. ؟

وتألقت على شفتى القديس ابتسامته العابثة وقال :

ــ المكسيك يا عزيزى الشرطى الفضولى ... ان مستر لويس يملك فى المكسيك منجم ذهب ، ولا شك أن شهرتى بلغته ، فدعانى لزيارة منجمه ، وأن أعترف منه ما أشاء من الذهب ... كان لويس رجلا طيبا أراد أن ينقذنى من داء السرقة ، فأباح لى أن آخذ من منجمه اى قدر من الذهب ، والآن وقد مات فلابد أن البى رغبته الأخيرة ، ولحسن حظى أنك كنت شاهدا على وصيته .

وارتسمت على شفتى القديس ابتسامة ساخرة .
وتطلع اليه المفتش فيرناك ساخطا ، وجعــل يحرك شفتيه دون أن يصدر منهما صوت .
وقال له القديس : ـــ ما الذى تريد أن تقول ..؟ أتريد أن تأمر بالقبض على ..؟
فصرخ فيرناك بملء صوته :
ـــ أغرب عن وجهى ..! عليك اللعنة .. !
ولكن القديس لم يكن ينتظر هذه الكلمات ، اذ كان قد مضى من تلقاء نفسه متجها الى الباب .

الفصل الثالث

فى الطائرة الى مدينة المكسيك أخذ ســـيمون تمبلار يستعيد الى ذهنه الاحداث التى مرت به .

لقد استجاب الى الهامه بغير أن يعير المنطق التفاتا ، وهو الالهام الذى طالما هداه الى الطريق السليم الذى لا يخطىء .

كان قد قرر أن يسافر الى هيسبانيولا طبقا لما اتفق عليه مع لويس قبل مصرعه ، ولكن كلمات الرجل ساعة احتضاره قلبت خططه رأسا على عقب .

ما أن غادر القديس المستشفى تاركا المفتش فيرناك وراءه حتى انطلق الى بيت جارى لويس ، وتحدث الى الخدم ، وجمع منهم المعلومات التى يفتقر اليها .

لقد ردد لويس اسم « جانى » وهو يحتضر ، فلما استفسر القديس عنها وعمن تكون علم من رئيس الخدم أنها تدعى جانى لويس ، وانها ابنة أخ الرجــل الذى أغتيــل .

واستقر رأى القديس على أن يحـول دون جانى والحضور الى نيويورك حتى لا تستهدف لخطر الموت كما كان قدر عمها من قبل ، وأن يبصرها بالاخطار التى تتهددها حتى تأخذ نفسها بالحيطة والحذر ، فأبرق اليها يسألها أن تكون فى انتظاره عند قدومه .

والآن بعد هذا كله ما عساه يفعل ..؟ ان الامـر رهن بالظروف وما يستجد من أمور ..

كانت هناك كلمة غامضة نطق بها لويس قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة وهى كلمة « أورانكوبا » ـــ فما معنى هذه الكلمة يا ترى .. ؟ لقد حار فى ادراك معناها ، فقال فى نفسه :

ـــ فلندع التفكير فى أمرها الى وقت آخر .

وفى مطار مدينة المكسيك وجد القديس فى انتظاره طائرة صغيرة كان قد أبرق يحجزها وهو فى نيويورك .

وسأله الطيار : ـــ أية وجهة تريد يا سيدى .. ؟

وأجابه القديس : ـــ ماتاكورى يا صديقى .

وكان منجم ماتاكورى يقع فى بقعة نائية مهجورة فى وادى كوتزالكوس حيث منح جارى لويس منذ عشرين عاما حق التنقيب عن المعادن . وكانت ضربة من الحظ الموفق ومن ذكائه كمهندس أن أنكشف له منجم ماتاكورى الزاخر بالذهب الخام .. وكان هذا الاكتشاف الرائع سببا فى تهافت الناس على الاقامة فى المنطقة ونشوء قرى ومدن جديدة حافلة بالاهالى .

ومـا أن هبطت الطـائرة فى ماتاكورى حتى التقى القديس بجانى لويس ، وكان هذا أول لقاء بينهما .

كانت فى انتظاره فى المطار ، وما أن أستقرت الطائرة على المجرى حتى أسرعت اليه فى خطوة نشطة مليئة

بالحيوية وسألته فى ابتسامة صافية : ــ هل أنت القديس .. ؟

فأجابها : ــ نعم .. اننى القديس ... سيمون تمبلار فى خدمتك .

وتأملها القديس فى نظرة زاخرة بالاعجاب : قوام ممشوق يفيض رشاقة ، ووجه باسم تتدفق منه الحيوية، وثوب رجالى لم يفلح فى اخفاء أنوثتها ، اذ كانت ترتدى بلوزة زرقاء وبنطلونا من طراز بلوجنز . وتحت شعرها الاسود الحالك يتراءى وجه نضر له لون الخوخ الطازج وقد لوحته الشمس بسمرة خلابة،أما عيناهافسوداوان يشع منهما بريق لطيف كأنه ومضات من البرق . وحين مدت اليه يدها تصافحه ألفى فى قبضته كفا قويا صريحا ودودا .

وقالت له : ــ انى سعيدة بلقائك يا سيمون ... لقد قرأت العشرات من مغامراتك ، وفتنت بها ، ولوأننى كنت رجلا لما ترددت فى أن أعيش على غرارك وأن أسلك فى الحياة نفس طريقك .

ثم أخذت بذراعه ، وأصدرت تعليماتها الى صبى كان يقف على كثب منها . ثم قالت تخاطب القديس .

ــ ان سيارتى فى انتظارنا هناك ، وقد حجزت لك جناحا فى الفندق ، ولكنى أحب أن أنذرك ان فندقنا ليس شبيها بقصور نيويورك ، ولكنه فندق على أية حال .

وضحك القديس قائلا : ــ ما دمت به راضية فانه يروقنى .

وألقت جانى بنظرة الى الطائرة الرابضة خلفهما وسألته :

ــ أهذه طائرتك .. ؟

ــ نعم .. ولكنها ليست ملكى ... لقد استأجرتها

فى المكسيك ، والطيار ما يزال فى انتظار تعليماتى .
فسألته : ــ وما عسى تكون هذه التعليمات .. ؟
فأجاب : ــ الامر يتوقف عليك أنت .
وغشيت وجهها غلالة من الشرود الممتزج بالتحدى وقالت :
ــ عليك انت أن تشرح لى سبب قدومك ، وبعدها يمكن أن أتخذ قرارا ... سأكون فى انتظارك بعد أن تنال قسطا من الراحة .
استقبلت جانى القديس فى شرفة غرفتها التى تشرف على التلال والسهول الشاسعة المنبسطة . وفى كلمات وجيزة مقتضبة أحاطها القديس بكل ما لديه من معلومات، *وكيف التقى بعمها فى نادى الرفاق ، وكيف لقى مصرعه .*
وارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وغمغمت :
ــ لقد علمت بذلك ، فقد أخطرنى البوليس بالامر ، وطلبوا الى أن أوافيهم الى نيويورك ، ولكنى اعتذرت اذ ما الفائدة من سفرى .. ؟ ان بقائى هناك قد يكون اجــدى .
ثم ندت عن صدرها تنهدة عميقة وقالت :
ــ على أية حال آثرت أن أتريث حتى أســتمع الى ما لديك وبعدها أتخذ قرارى واستقر على ما ينبغى أن أفعل . واذا كان عمى قد قتل بهذه الطريقة فمعنى ذلك انه ...
وترددت ثم أمسكت عن الكلام ، فقال القديس :
ــ من عدم التبصر أن نسارع الى استخلاص نتائج مبدئية ، وحتى الآن لا شىء لدينا يثبت أن هناك صلة بين أسرار عمك وقاتله .
فقالت جانى : ــ نعم .. ليس لدينا دليل ، ولكنك ترتاب فى الامر ، أليس كذلك .. ؟

فقال القديس مقرا : ــ نعم .. اننى أميل الى الظن بأن هناك صلة بين القاتل وبين الاسرار التى كشفها عمك ... قد يقال ان عمك ذهب ضحية سطو مسلح ، اذ هاجمه اللصوص وجردوه من حافظته وساعته وكل الاشياء ذات القيمة التى كان يحملها فى جيوبه ــ نعم.. قد يقال هذا ، ولكن كيف نعلل أنهم انتزعوا من ثيابه العلامات التى تدل على المصدر الذى اشتراها منه ..؟ مثل هذا الاجراء مقصود به دون شك اخفاء شخصيته عند العثور على جثته ، واللص العادى لا يمكن أن يفكر فى اخفاء شخصية ضحيته ، فهذه مسألة لا تعنيه فى كثير أو قليل .

فغمغمت جانى مؤمنة : ــ أصبت ... فما هو رأيك اذن ... ؟

واستطرد القديس : ــ عندما التقى بى عمك فى المرة الاولى كان شديد الاضطراب والقلق ، وقد سعى الى يستنجد بى فى وقت لم يكن يدرى فيه ما ينبغى أن يفعل ... كان حائرا لم يستقر على رأى بعد ، ولكنه أوحى الى بما يفهم منه أن هناك خطرا يتهدده ، وأن هناك قوما يجبرونه على الصمت . ويبدو أن هؤلاء القوم رأوا ان اغتيال لويس وازاحته من الطريق هو الوسيلة الوحيدة الكفيلة بأن تهيء لهم الامان والسلامة. فكيف أوفق الى الاهتداء الى هؤلاء المشبوهين .. ؟ من يكونون يا ترى هؤلاء الذين اغتالوا عمك .. ؟ هذا هو ما أريد أن أكتشفه .

وتطلع اليها القديس مترقبا اجابتها ، وشردت عيناها الى بعيد ، وبدت غارقة فى خواطرها .

وتابع تمبلار الحديث قائلا : ــ اننى أعتقد أن بين

الخدم جاسوسا غادرا ينقل المعلومات الى القتلة ، والا فكيف عرفوا أنه قابلنى فى نادى الرفاق ، وكيف عرفوا أنه على موعد معى ليصحبنى فى رحلته .. ؟ ولهذا رأى أعداؤه أن يعجلوا بتوجيه الضربة القاضية وأن يبادروا الى قتله .

وقالت الفتاة فى صوت هادىء النبرات :

ـــ ولهذا جئت الى تنشد مساعدتى .. ؟

فتساءل : ـــ وفيم تساعديننى .. ؟

فلاحت على شفتيها ابتسامة طبيعية وهادئة وقالت:

ـــ طبعا فى كشف غوامض اللغز الذى كان يشغل بال عمى .

وحدق تمبلار فى عينيها وسألها :

ـــ ترى ألديك ما تفضين به الى .. ؟

فهزت كتفيها فى غير اكتراث وأجابت :

ـــ لا شىء لدى على الاطلاق ... ان العم جارى لم يكن يشركنى فى اكتشافاته فى هيسبانيولا ، ولعله كان يتوقع ان الامر محفوف بالمخاطر ، ولهذا آثر أن يقصينى حتى لا أتعرض للمهالك ... ولكنه فى هذا كان مخطئا .. اننى مولعة باقتحام الاخطار .

وسألها القديس : ـــ لاى سبب رأى عمك أن يتركك هنا وحيدة فى ماتاكورى .. ؟ اننى لا أعتقد أنك تعملين فى المنجم .. ؟

وابتسمت جانى وأشعلت سيجارة ثم أجابت :

ـــ هناك سببان لبقائى هنا يا سيمون ... أولهما أن أمى مكسيكية ، وأنا أعبد هذه البلاد وأهيم بها ، فما رأيت بلدا قط يحفل بمثل هذه المشاهد الطبيعية الخلابة ، ثم اننى أمقت نيويورك ولا أطيقها لما تحفل به من صخب وضجة ... قد تقول ولكن فى أمريكا مدنا

اخرى هادئة خلاف نيويورك ، ويمكننى أن أستقر فيها ... وهذا صحيح ، ولكننى اليــوم قانعة بماتاكورى وسعيدة بأن أقيم فيها .

وسألها القديس : ــ والسبب الثانى .. ؟

ــ اننى رسامة ... نعم .. رسامة .. قد يدهشك الامر ولكن تلك هى الحقيقة .. وأنا مولعة بنقل المشاهد الطبيعية ، وفى هذه البلاد يمكننى أن أجد ذخيرة ضخمة لا تنفد أبدا استمد منها الوحى والالهام .. هيا تعال معى .

وأخــذت بيده ، ومضت بسيمون تمبلار الى قاعة أخرى مخصصة للرسم ، وقالت :

ــ هذا هو مرسمى ... قد تكون هذه اللوحات غير رائعة فى نظرك ، ولكننى أرجو فى يوم من الايام ان اصل الى مستوى أرفع من هذا .

وجعل القديس يدير عينيه فى اللوحات التى تزخر بها الغرفة فوجدها جميعا تمثل مناظر طبيعية رائعة ، من جبال شاهقة ووديان خضراء وجبــال تبدو صخورها عملاقة وانحداراتها مخيفة تبعث الرهبة ؛ وكانت هناك أيضا مشاهد خلابة تمثل شروق الشمس أو غروبها ، وما تنطوى عليه من ألوان متناسقة تحرك الخيــال والاحــلام .

وأشارت جانى الى احدى اللوحات وهى تقول :

ــ هذه اللوحة قد تكون تحفة فنية رائعــة ... أو صورة تافهة لا تساوى شيئا فى عالم الفن .

فقال القديس : ــ لا استطيع ان أدلى فى هذا برأى قاطع ، فهذا من الفن نوع جديد مبتكر لا خبرة لى به ، ولكن الامر يتوقف على أية حال على الانطباعات التى يخرج بها الانسان من اللوحة . ففى هذه اللوحة مثــلا

مشاهد طبيعية عملاقة تمثل الجبروت والقوة ، ولكنك أضفيت عليها من الخطوط والالوان والبقع ما جعلها أقرب الى الفن القديم البدائى المعروف باسم «مایاس».

فهتفت جانى وهى تلقى بذراعيها حول عنق القديس وتقبله :

ــ تماما ... تماما ... لقد أصبت .. ! انك عرفت ميولى واتجاهاتى الفنية بكل سهولة .

ثم أردفت ضاحكة : ــ نعم .. أننى لا أعمل فى المنجم ولا أشغل أى منصب هناك ، فلدينا من المهندسين العدد الكافى ، وهذا يتيح لى فرصة أستقل فيها السيارة الجيب فانطلق الى المناطق المهجورة النائية لأشبع فى نفسى هواية الرسم . وقد عرفنى الاهالى المواطنين وتعلقوا بى وأحبونى ، وكثيرا ما زودونى بقطع من النقود الاثرية أحملها الى العم جارى ليضمها الى مجموعته الرائعة ، وفى بعض الاحيان يقدمون الى بعض التماثيل أو التعاويذ أو الايقونات .

وأشعل تمبلار سيجارة أخرى نفث منها عدة أنفاس، ثم رجع معها الى الشرفة ، وقال لها :

ــ اذن فانت لا تعتقدين أن للمنجم صـلة بمصرع عمك ، وليس هناك من تشتبهين فيه ..؟ أترين ان علينا أن نستبعد هذا الفرض .. ؟

فأجابت : ــ أعتقد هذا ، فالجميع هناك يعملون باخلاص والانتاج تحت رقابة صارمة ، والذهب الذى يستخرج كل يوم يشحن فى الحال بغير امهال أو تهاون .

ثم أردفت وهى تلوح بيدها فى يأس :

ــ الرأى عندى يا سيمون أن نذهب الى هيسبانيولا ... نعم .. سوف أصحبك فلا تحاول أن تفلت منى ..!

انك لا تعرفنى حق المعرفة ، فقد أكون امرأة ، ولكننى لا أبالى بالاخطار ولا أخشاها . ثم اننى أريد أن أثأر للعم جارى ، واذا اعتزمت أمرا فانى لا أنكل ولا أحجم.

وألقت بيديها على كتفى القديس ، وحدقت فى عينيه فى ثقة وايمان . ومن العينين السوداوين انبعث وهج متأجج ينم على ما انطبعت عليه الفتاة من روح المغامرة، وافتتن القديس باللهب التى انبعث من عينيها فطبع على وجنتها قبلة خفيفة وقال :

ـ لقد كنت أعتمد على معاونتك .

فأشرق وجهها بابتسامة متلألئة وقالت :

ـ شكرا لك ... ولكن متى تنوى أن نسافر ..؟

ـ كلما أسرعنا كان هذا أفضل ، ولذلك استبقيت طائرتى المستأجرة فى انتظارى فى المطار . ولكن ألا يضايقك أن تصحبينى الى المجهول فاننى حتى اللحظة لم أحدد المكان الذى ينبغى أن أذهب اليه .

فقالت الفتاة فى دهشة : لقد تحدث الى العم جارى عن هيسبانيولا ، فعلينا أن نبادر بالذهاب الى هناك .. ان السفاحين فى اعتقادى لابد أن يذهبوا اليها ما دام السر كامنا هناك ، اذ لاشك أن جواسيسهم نقلوا اليهم مما كان يردده عمى .

فقال القديس : ـ انى أشاطرك هذا الرأى ، فقد فهمت من أشارات عمك الغامضة فى حديثه معى أن السر يكمن فى هيسبانيولا ، وربما فى كوبا ذاتها .

وقالت الفتاة فى استغراب : ـ هذا عجيب .. ! كان عمى دائما يشير الى هيسبانيولا ، فما الذى جعلك تفكر فى كوبا .. ؟

فأجابها القديس : ـ كانت آخر كلمة نطق بها عمك

وهو يحتضر هى قوله : « أورانكوبا » ... وقد فكرت كثيرا فى هذه الكلمة فلم أوفق حتى اللحظة الى تفسير لها ، فليست هناك مدينة بهذا الاسم ، كما انها لا تدل على اسم شخص ، فهل لديك فكرة عن هذه الكلمة ..؟ عندما تحدث الى عمك شعرت أنه لم يصارحنى بكل ما فى نفسه ، وانه يخفى دونى بعض أسراره .

فقالت الفتاة : ـ هذا شأن العم جارى دائما ، انه دائما غامض لا يكشف عما يجول فى خاطره .

ثم أردفت : ـ لقد قام بأبحاث علمية واكتشافات مذهلة ، ومنذ هذه اللحظة كان يعمد الى الكتمان حتى لا يبادر أحد الى انتحال اكتشافاته ، كما أنه لا يحب أن يكشف للناس ما اكتشف الا بعد أن يصبح الامر عنده يقينا مؤكدا .

وقال القديس : ـ هذا شىء يؤسف له اذ معناه اننا سنضطر الى انتهاج خطتين مختلفتين أى القيام برحلتين، احديهما الى كوبا ، والاخرى الى هيسبانيولا ... اذ لا شك أن عمك كان يهدف الى غرض معين حين ردد فى لحظة احتضاره هذه العبارة : «أوران .. أورانكوبا» ... فهل يمكن أن نفصل بين الكلمة الثانية ونقول انه كان يقصد أن يقول : « أوران ... كوبا » ، أى مثلا : « أوران فى كوبا » ... ؟

فهتفت الفتاة : أوران ..! يا الهى .. ! الان فهمت ما كان يعنيه عمى .. !

فسألها القديس : ـ وما الذى كان يعنيه ياترى . ؟

ـ لقد بدأت أذكر الان ... فى رحلته الاخيرة الى ماتاكورى حدثنى عمى أكثر من مرة عن صديق جديد تعرف به يدعى البروفسور زوران ، وهو مثله من علماء الاجناس والاثار .

ولبث القديس صامتا برهة وهو يفكر فيمـــا ذكرته الفتاة ... لقد قال عمها : « أوران » ، ونطق بهـــا ساعة احتضاره ، وما من شك فى أن النطق فى مثل هذه اللحظات لا يمكن أن يكون جليا واضحا ، ولعـــله كان يقصد أن يقول : « زوران » وليس « أوران » ..

وقال القديس : ـــ ربما كان هذا هو الاسم الذى ردده ... ومهما يكن فان علينا أن نبادر الى مقابلة هذا البروفسور زوران . وعن طريقه ربما عرفنا شيئا عن أسرار عمـــك أو عن مشروعاته ، فالعلمـــاء يتبادلون أسرارهم فى بعض الاحيان .

وقالت الفتاة : ـــ كما أن من المحتمل جدا أن يكون زوران هو الذى أوحى الى العم جارى بأن يستنجد بك ويطلب مساعدتك .

وسألها القديس : ـــ الم تقابلى زوران هذا أبدا ..؟ الم ترى صورته فى يوم من الايام .. ؟

فهزت رأسها نفيا وأجابت : ـــ كلا ... انى لم التق به من قبـــل .

ولكنها ما لبثت أن هتفت : ـــ آه ... الآن تذكرت ... لقد أرانى عمى صورته فى احدى الصحف .

ـــ أية صحيفة ..؟

ـــ لا أذكر تماما ...

ثم أردفت : ـــ ولكن يبدو من صورته أنه كهل ، وله رأس عجيبة ... رأس ضخمة جدا ولحية صغيرة ، وقد قال لى عمى عنه أنه من كبار العلماء ، وقد بدا لى من حديث عمى أنه يعتبر زوران منافسا خطيرا .

فقال القديس : ـــ اذن علينا أن ننبش الارض بحثا عن هذا البروفسور زوران ..! انه رجلنا المنشود .

الفصــل الرابع

لم تكد تمضى أيام ثـلاثة على هــذا الحديث حتى استقرت الطائرة على الارض فى مطار بوبيروس ، ومنها هبطت جانى لويس وفى رفقتها سيمون تمبلار .

ورغم أن النهار كاد أن ينصرم الا أن الأضواءالكاشفة التى تغمر المطار كادت أن تحيله نهارا . وفى لحظات فرغ القادمان من الاجــراءات الجمركية ، واســتقلا السيارة الى هافانا .

وعلى طول الطريق من المطار الى المدينة كانت هذه الكيلومترات الخمســـة عشر حافلة باعــلانات تفنن الرسامون فى ابداعها تدعو السائحين الى زيارة الملاهى والمكازينات وعلب الليل وتدخين سيجار هافانا الشهير .

وخلال الرحلة الممتدة لزم الاثنان الصمت لا يتبادلان كلمة واحدة ، فسيمون تمبلار يفكر فى هــذه المغامرة الجديدة التى أقحم فيها نفسه لينفض عنه ما ران عليه من خمول وتكاسل ، دون أن يدرى شيئا مما هو مقدم عليه ، اذ كان كل ما لديه اشارات مبهمة غامضة لا تنير معالم الطريق ... أما جانى فكانت تفكر فى سعادتها بمشاطرة هذا المغامر الشهير أعماله الجسورة التى اشتهرت عنه ، وقد استقر رأيها على أن لا تتدخل فى شأنه ، وأن لا تحاول أن تملى عليه رأيها ، بل تدع له أن يضع الخطة التى تروقه ، وكل ما عليها هو أن تأخذ بتوجيهاته وتلبى تعليماته .

وانتهيا أخيرا الى الفندق حيث وجدا فى انتظارهما جناحين فاخرين كان القــديس قد بادر من قبــل إلى حجزهما .

وما أن استقرت جانى فى غرفتها حتى طرق الباب ، ودخل عليها صبى من سعاة الفندق ترتسم على وجهه ابتسامة مشرقة ، وهو يحمل أكداسا من أدوات الرسم وابتدرها بقوله :

ـــ ان السنيورة رسامة شهيرة ، أليس كذلك .. ؟ انى على استعداد لان أقف أمام السنيورة أنموذجا لكى ترسمنى ، وليست هذه أول مرة أزاول فيها هذا العمل ... خمسة دولارات مقابل ساعة ، فهل ترين يا سيدتى أن هذا أجر باهظ .. ؟

وأجابته جانى : شكرا لك وسأفكر فى الامر .

وما أن انصرف الفتى ، حتى بادرت جانى الى غرفة تمبلار وروت له قصة الصبى وقالت له :

ـــ ما الذى جعلك تكشف عن شخصيتى علانية .. ؟

فابتسم القديس وأجاب : ـــ ذلك فى الواقع يخدم خطتى ، وانى لاعتذر اليك اذ لم أخطرك من قبل بما انتويت ... وعلى أية حال فانك ان لم تستعملى الادوات واللوحات التى بعثت بها اليك فانك لن تخسرى شيئا لاننى أنا الذى دفعت ثمنها ..

ثم ما لبث أن أردف : ـــ وبهذه المناسبة أرجو أن تستعدى فاننا سنتناول العشاء الليلة فى « تروبيكانا » .

فقالت جانى وفى وجهها امارات الاستغراب :

ـــ هذا غريب ... يبدو أنك تريد أن تعلن عن وجودى فى هافانا بكل وسيلة ممكنة .. ؟

فأطلق سيمون ضحكة مرحة وأجاب :

ـــ تماما ... ألم تقولى من قبل انك افتتنت بمغامراتى ..؟ واننى لا أهمل شيئا من التفاصيل .. ؟ اذن كان عليك أن تدركى أن القديس لا يعمل فى الخفاء

من وراء الستار ، وانما يعمل جهرا وعلى المكشوف .. ان القديس يريد أن يعلم الناس جميعا أنه موجود فى هافانا ، وان هناك مغامرة جديدة تختفى وراء الافق .. والآن الى اللقاء ساعة العشاء .

وفى ذلك المساء بذل القديس كل ما فى وسعه ليعلن على الملأ وجوده مع جانى وليسترعى الانظار اليهما .. أغرق بالهبات السخية بائعات الورد والسجائر ، وداعب الفتاة حافظة المعاطف ، ومنح الجرسونات منحا كبيرة، وطلب الى الموسيقى أكثر من مرة أن تعزف ألحانا معينة، ولم يطلب من الشراب الويسكى ، وانما كان يطلب الشمبانيا لما يحفها من مظاهر التكريم . ودعا المصورين الى التقاط العديد من الصور له ولجانى . وأخيرا دعا الفتاة الى رقصة تانجو حالمة .

وقالت له جانى وهما يخطران فى حلبة الرقص :

ـــ سيمون ... هل أنت سعيد الليلة .. ؟

فأجاب : ـــ بل انى مبهور مفتون .

* * *

كان أول شىء وقع عليه بصر جانى فى اليوم التالى وهى تطالع الصحف هذا العنوان بحروف كبيرة بارزة :

« القديس يختار هافانا »

« لمغـــامرة غرامية »

وكان فى هذا العنوان وحده ما حمل جانى على أن تقطب جبينها ، ثم ازدادت تقطيبا حين قرأت المقـــال ورأت الصور العديدة التى تناثرت حوله .

هذه صورة لها وسيمون تمبلار وهما يرقصان التانجو وفى عيونهما أحلام سعيدة ، وهذه صورة أخرى وهو

يقدم اليها كأس شمبانيا وقد تلامست منهما الانامل فى نشــوة .

أما المقال نفسه فكان هذا هو نصه :

« منذ ليلة الامس ضمت مدينتنا اثنين من مشاهير الضيوف : سيمون تمبلار المعروف باسم القديس ونصير المظلومين ، والرسامة الجميلة جانى لويس ، من أغنى الوريثات فى هذه الأيام . وأننا لنتسائل أهو حسنهاالذى اجتذب القديس اليها ، أم ثروتها التى لا تقدر هى التى فتنته .. ؟ وهو سؤال نؤكد أنه ليس لدينا عليه من جــواب » .

« لقد شاهد مخبرنا الصحفى الاثنين فى أحد الملاهى الليلية الفاخرة ، وقد عرفه القديس على الفور ، لانه ما من صحفى جدير بهذا الاسم الا يعرف سيمون تمبلار، سواء كان قد التقى به أو شاهد صوره ووعاها » .

« وحين شاهد مندوبنا الصحفى سيمون تمبلار بين الجالسين الى موائد العشاء كان لابد له أن يحوم حوله ويلتقط له بعض الصور ، وأن يحاول أن يوجه اليه شيئا من الاسئلة . وقد عرفنا من تحرياتنا الخاصة أن القديس جاء الى هافانا فى صحبة مس لويس للقيام بأبحاث هامة يشتركان فيها معا ، وان كانا قد رفضا أن يفحصا عن كنه هذه الابحاث وماهيتها » .

« ولكن أتلك هى الحقيقة ، أم أن هذا الزعم ستار يخفى شيئا آخر ..؟ » .

« لعلنا نستطيع أن نقرر أن القديس انما يهدف من وراء هذه الرحلة الى هافانا الى غرام جديد .. لقــد جاء الى بلادنا يبحث عن حب جديد » .

« وبهذه المناسبة لابد أن نشير الى أن مس جانى لويس هى ابنة أخ مســتر جارى لويس الذى توفى

اخــيرا ، وهى الوريثة الوحيــدة لثروته الطائلة التى تشتمل أساسا على أغنى المناجم وأغزرها انتــاجا ، ونعنى به منجم ماتاكورى . ولعل هذه الحقيقة تكون ذات معنى خــاص حين نســتعيد الى أذهاننا ماضى القديس ومغامراته » .

كان هذا هو نص المقــال الذى يتصدر الصــحيفة المحلية فى هافانا ، وما أن أتت عليه جانى حتى هرعت الى القديس ، والصحيفة بين يديها ، وابتدرته متسائلة:

ــ أقرأت هذا المقال العجيب .. ؟

فارتسمت على شفتى القديس ابتسامة جذله وأجاب:

ــ نعم قرأته ... بل اننى أنا الذى كتبته ... أعنى اننى أنا الذى أوحيت بكل ما جاء فيه .

فاتسعت عيناها الجميلتان دهشة وقالت :

ــ ولكن كل هذا كذب .. ! ليس فى هذا شىء من الحقيقة ... ليس بينى وبينك أى شىء على الاطلاق .

فازدادت ابتسامته اتساعا وقال :

ــ هذا صحيح ... حتى الآن ... اما فى المستقبل فمن يدرى .. !

وجعلت جانى تحــدجه بنظرة تنم على الذهــول ، فأطلق القديس ضحكة رنانة وقال :

ــ اطمئنى يا عزيزتى جانى ... اننى أعرف مثلك تماما أن العلاقة التى بيننا ليس فيها شىء من الحب .. كل ما هنالك اننا نسعى ــ كلانا ــ الى هدف مشترك : هو أن نكشف سر اللغز الذى كتمه عمك عنا ، وأن نثأر لمصرعه ... أما الحب فخارج عن نطاق أهدافنا .

فقالت : ــ اذن علينا أن نبادر الى تكذيب النبأ .

ــ وما الذى يدعونا الى التكذيب .. ؟ ألم تدركى بعد الهدف من اذاعتى لهذه الانباء ... ؟ اننى أريد أن

استرعى الأنظار اليك والى .. أريد أن أقول للناس جميعا أننا — انت وانا — على علاقة وطيدة ، وأننا موجودان فى هذه المدينة . وبذلك أثير فضولهم وأدفعهم الى التحرك ... سأحملهم على أن يتحركوا ويهرعوا الينا : الاصدقاء والخصوم على السواء ... أصدقاء عمك وأعداؤه ... وعندما يأتون سأعرفهم ، وسأكون فى انتظارهم .

فقالت جانى : — العلك بهذا تقصد البروفيسور زوران ...

— أليس اسمه هو آخر لفظ ردده عمك وهو يحتضر .. ؟ ألم يطلب الى أن أسافر الى كوبا وأن أتصل بزوران ..؟ اننى أعتقد أنه يعرف من أسرار اللغز الخفى أضعاف ما نعرف نحن .

وهزت الفتاة رأسها وقالت :

— الآن بدأت أفهم ما ترمى اليه .

ثم أردفت وقد لاحت على شفتيها ابتسامة عابثة :

— اذن فليس علينا الا أن نكثر من الخروج سويا والظهور فى المجتمعات معا .

ومشت الى الباب ، ثم ما لبثت أن ارتدت راجعة اليه، واقلت بيديها على كتفه ، وأدنت وجهها من وجهه ، وضمت شفتيها حتى لكأنهما برعوم زَهرة ، ثم لامست شفتيه ، وهمست :

— هذه مجرد تجربة ليس الا .. نوع من التدريب.

فعقب قائلا : — شكرا لك على اية حال .

وقبلها ... ولكنها قطعا لم تكن قبلة تدريب .. !

* * *

لم يكن القديس سادرا فى الاوهام حين رسم خطته، فقد كانت هذه هى الطريقة المثلى لاجتذاب أعداء العم الراحل وايقاعهم فى المصيدة . فعلى مسافة قريبة ، وفى بيت أسبانى الطراز كان هناك رجلان تثير جانى لويس من اهتمامهما قدرا كبيرا .

أما أحدهما فكهل عجيب الشكل ، له لحية مدببة ، وجبهة عريضة لا تكاد تراها لمخلوق ، وتوحى بأنها تختزن من المعلومات والذكاء قدرا ضخما . وكانت فوق عينيه نظارات سميكة يعلوها حاجبان كثان كأنهما شجيرة صغيرة تهز الرياح أغصانها اذا كانا دائما لا ينفكان يرتفعان وينخفضان .

وقال الرجل ذو اللحية الكثة لصاحبه :

ـــ أعتقد أنك فى بعض الاحيان تقرأ الصحف يا كرامر .. ؟

وأجاب الآخر فى نبرة من التردد : ـــ طبعا .. طبعا.

كان كرامو شابا عملاق الجسد قوى البنية ، له منكبان عريضان ، وسحنة بارزة المعالم تنم على القسوة والخشونة ..

وقال الكهل مستطردا : ـــ انى أعرف أن لا شىء يعنيك فى هذه الدنيا الا طائرتك الهليوكوبتر .. انها الشىء الوحيد الذى يشد اهتمامك فى هذه الدنيا .

ـــ ولكننى يا بروفيسور ... اننى ...

بيد أن البروفيسور قاطعه بقوله متهكما :

ـــ خذ اقرأ هذا المقال ، فاننى على الاقل أعتقد انك تجيد القراءة والكتابة .

وتناول الفتى الصحيفة التى قدمها اليه رئيسه ، وجرت عيناه على المقال الذى يتحدث عن جانى وسيمون تمبلار ، ثم جعل يتأمل الصورة فى افتتان ، وقال :

ــ انها فى الحق فتاة جذابة .
فعقب البروفيسور بقوله : ــ جمالها لا يعنينى فى شىء ، وانما أموالها هى التى تثير اهتمامى .
وتطلع كرامو الى رئيسه برهة ثم قال متسائلا :
ــ أتعتقد يا بروفيسور أنها سترضى .. ؟
وهز الكهل الملقب بالبروفيسور كتفيه قائلا :
ــ هون عليك يا صديقى ، فانه لم يدر بخلــدى أن أتزوجها ... ان لدى خطة أفضل من الزواج ، والآن اذا كان الامر يثير اهتمامك فانك تستطيع أن ...
ولكن كرامر ابتدر رئيسه متسائلا :
ــ ولكن كيف يمكن أن نحملها على أن ...
ــ أطبق فمك يا كرامر ، ولا تنسى ان للجدران آذانا متلصصة ... أهم شىء عندى هو أن لا أحد يعرفنا فى هافانا ، بل فى كوبا كلها ، فلن تخامر الريبة أحد فى شأننا . فعلينا أن نتصرف فى حيطة وحذر حتى لا نرمى بأنفسنا الى المخاطر .
فهز كرامر كتفيه وقال فى استخفاف :
ــ اننى من طراز لا يأبه بالمخاطر ..! الا ترى اننى قمت فى نيويورك بعمل رائع .. ؟
ــ اذا كنت قد حرصت على أن تنفذ أوامرى بدقة فأنت بمنجاة من كل خطر .
وأردف البروفيسور : ــ والآن عليك أن تسعى الى هذا المندوب الصحفى ، وأغرقه بكؤوس الخمــر ، واستدرجه الى الحديث عن مس لويس وصاحبها حتى تعلم أين يقيمان .
ولم تكن هذه بالمهمة الشاقة العسيرة ، فان القديس نفسه لم يكن يحاول أن يخفى مقر اقامته ، بل عــلى

العكس كان يريد أن يعرف الناس جميعا أين يقيم ، وكان يعمد الى ارتياد الاماكن العامة علانية وفى صحبته جانى لويس حتى يوقع فى روع من يشاهدونه أنه انما يجرى لاهثا فى أثر ثروة الفتاة ، وانه ان كان يحاول أن يوقعها فى شباكه فما ذلك الا لانه ينشد الاستيلاء على أموالها .



فى تلك الليلة بالذات كان سيمون وفتاته جالسين الى فى مشرب « أورينتال » .

وقالت الفتاة على حين فجأة :

ـ سيمون ... انه هناك ... انظر فى المرآة التى امامك .

وتطلع سيمون الى المرآة التى تتصدر القاعة أمام طاولة البار ، ورأى الباب يفتح ، ويدلف منه رجلان : ذلك الكهل ذو اللحية المدببة وتابعه الشاب العملاق كرامر .

وقالت جانى لويس : ـ هذا هو زوران ... انه نفس الشخص الذى أرانى عمى صورته .

فهتف القديس : ـ رائع ..! رائع جدا ... تماما كما توقعت ... لقد جاء يسعى فى أعقابنا ، ولم تعد بنا من حاجة الى أن نجرى نحن فى أثره .

فتساءلت : ـ أتظن ذلك يا سيمون ..؟

ـ سوف ترين ... كان زوران مهتما بالعم لويس ، وقد مات العم ، فلابد أن يحول اهتمامه الى ابنة الاخ .

وتناول القديس من جيبه قصاصة ورق خط عليها بعض كلمات ، وناولها الى أحد الجرسونات بعد أن دس فيها دولارا ، وان هى الا لحظات حتى انطلق صوت الميكروفون مناديا :

ـــ مس لويس مطلوبة على التليفون .
وهتفت جانى فى استغراب :
ـــ أنا ..؟ هذا عجيب ، فلا أحد يعرف اننى ...
ولكن القديس ابتدرها مقاطعا :
ـــ هـــذا جزء من خطتى يا جانى ... اذهبى الى مقصورة التليفون ، وتريثى هناك لحظة ، ثم أرجعى ... هذا هو كل ما أريد منك .

فنهضت جانى واقفة وهى تتأمل القـــديس بعينين تتألقان ، وقالت :
ـــ يالك من شيطان ماكر .. !

وغادرت جانى مقعدها متجهة الى التليفون ، وفى المرآة الكبيرة التى تتصدر القاعة مضى القديس يتابع بنظراته البروفيسير زوران .

رآه بدوره يزايل مائدته فى أعقاب جانى ، ثم يعترض طريقها فى عودتها ، وينحنى أمامها تحية وهو يقول :
ـــ أنت جانى لويس ..؟ لكم أنا سعيد بلقائك .. ! ان عمك لويس طالما حدثنى عنك ، وقد قرأت أخـــيرا فى الصحف النبأ المفجع ، وكنت أسائل نفسى كيف أتصل بك لاقدم اليك العزاء .

وتطلعت اليه جانى فى لطف وشكرته ، ثم أردفت :
ـــ انى لست وحدى فتعال أقدمك الى صديقى .
ومضت به الى البار ، وتم تعارفه بسيمون تمبلار ، ثم دعاهما الى مائدته ، وقدمهما الى كرامر الذى جعل يرمق جانى بنظرات تنم على الاعجاب .

وقال القديس : ـــ أعتقد يا بروفيسور اننى سمعت باسمك من قبل .. ؟

فقال زوران : ـــ هذا عجيب يا مستر تمبلار فاننى بطبعى رجل متواضع عزوف عن الدعاية .
واستطرد القديس : ـــ لقد قيـــل انك علامة تهتم بالابحاث العلمية .
ـــ لعل فى ذلك شيئا من المبالغة والاسراف ، فالواقع اننى أملك فى كوبا مزرعة قصب لا تكاد تترك لى فسحة من الفراغ . ولدى نخبة من العاملين يعاونونى فى ادارة أعمالى وعلى رأسهم كرامر هذا الذى يعمل طيارا يقود طائرتى الهليوكبتر .
فقال القديس معقبا : ـــ هذا جميل ، فان قيـــادة الطائرات مشكلة مزعجة .
واستطرد زوران : ـــ ولدى فى المزرعة أيضا مصنع للتفريخ وانتاج البيض .
وقال القديس : ـــ هل معنى ذلك أن . . .
ولكن البروفيسور استرسل يقول كأنما لم تبلغ أذنيه كلمات القديس :
ـــ ورغم مشاغلى هذه ، فان لدى هواية تستحوز على اهتمامى ، وهى دراسة أصول الاجناس البشرية، وقد سبق أن تبادلت الحديث فى هذا الشأن مع لويس ، فقد كان دون شك علامة قديرا فى هذا المضمار ، واتفقنا على أن نتعاون معا فى هـــذه الابحاث . . . مســـكين صديقى العزيز جارى لويس . . !
وند عن صدره تنهدة حزن وأسى ، وردد القديس فى نفســـه :
ـــ يا له من ممثل قدير . . !
كان القديس راضيا عن خطته ، فقـــد دفعت الى طريقه بزوران فى وقت أقصر مما كان يتصور . . . ولم يكن ليغيب عن تمبلار أن زوران خصم قوى لايستهان

به ، ولكنه هو ايضا — القديس — لم يكن بالخصم الهين .
وبسط زوران يديه ، وأخذ بيد الفتاة بين كفيه فى رقة ومودة ، وقال لها :
— أتسمحين لى بسؤال يا جانى ..؟ هل أنت حقا رسامة قديرة .. ؟ لقد أشار جارى الى هذا يوما فى حديثه معى .
وتضرج وجه الفتاة احمرارا ، وغضت من بصرها وأجابت :
— ان العم جارى كان يعتقد دائما اننى رسامة تافهة ، ولم يكن يؤمن بأننى على شىء من النبوغ .
فانبرى سيمون يقول متدخلا فى الحديث :
— انه فى هذا مخطىء ... ان لى بين النقاد كثيرا من الاصدقاء ، وقد سمعتهم يمتدحون لوحاتك ، ويقولون انها لو عرضت فى أحد المعارض لتهافت عليها الجمهور .
فهتف زوران : — حقا ..! هذا رائع .
وحتى هذه اللحظة لم تكن جانى قد فطنت الى ما لقدرتها على الرسم من دخل فى المغامرة المرتقبة .
وتابع زوران الحديث قائلا :
— لقد اكتشفنا أنا وصديقى جارى آثارا نادرة تكشف عن أصل الاجناس ، وقد أخذنا لها العديد من الصور والافلام . وقد خطر لى أن أقيم متحفا خاصا لهذه الآثار ، فكنت فى حاجة الى رسام قدير بنقل الصور والافلام الى لوحات كبيرة أضمها الى متحفى الذى اتخذت له قاعة فى بيتى ، فهل تقبلين يا جانى أن تضطلعى بهذا العمل .. ؟
وابتسمت جانى قائلة : — ولكن الا ترى أنه يحسن

بك قبل كل شيء أن ترى لوحاتى وان تطلع على أسلوبى فى الرسم فقد لا يروقك .. ؟

فقال زوران فى حماس : — ان شهادة مستر تمبلار تكفينى .

وعقبت جانى بقولها : — كلا .. كلا ... بل انى أدعوك الى القاء نظرة على لوحاتى .

والتفتت جانى الى كرامر قائلة :

— ألا تشاطرنى هذا الرأى يا سيدى .. ؟

فانبعث كرامر من افتتانه بجمالها قائلا :

— الحق اننى لا أفقه فى الرسم شيئا ... الطائرات هى الشيء الوحيد الذى يثير اهتمامى .

وقالت جانى : — سأكون فى انتظاركم اليوم فى فندقى .

وتم الاتفاق على موعد اللقاء .

وقال القديس لجانى وهما راجعان الى الفندق :

— لقد بدأ البروفيسور ينزلق الى الفخ .

وتساءلت جانى : — ولكن ما هى الخطوة الثانية التى تتوقعها .. ؟

فقال القديس : — أراهن على أن زوران سيدعوك الى زيارة مزرعته ، وسوف تكون زيارة حافلة بالمخاطر ، فان زوران رجل لا يستهان به .

— وما الذى تتوقع أن يحدث فى هذه الزيارة .. ؟

وفى كلمات مقتضبة أجاب القديس :

— أغلب الظن أنه سوف يحتجزك رهينة لديه الى أن ينتزع منك من المعلومات ما يشاء .

وحملقت جانى فى القديس صامتة دون أن تتفوه بكلمة ، وان كان الوميض الذى انبعث من عينيها تم فى جلاء على أنها سعيدة بهذه المغامرة .

الفصـــل الخامس

لم يتخلف البروفيسور زوران عن الموعد المحـــدد ثانية واحدة ، وجاء وحده لا يصحبه تابعه كرامر .

وكانت جانى فى انتظاره يفيض بها شعور من التحدى وروح المغامرة ، اذ لم يخامرها شك فى أن القديس كان على حق فى نبوءته ..

انه رجل بعيد النظر ، ولا يخطىء أبدا .

ووقف زوران وسط الغرفة يدير عينيه فى اللوحات التى تزخر بها ، ثم هز رأسه وقال :

ــ الحق ان رسوماتك أذهلتنى ، وفيها بضع لوحات تروقنى وتتلاءم مع ما أهدف اليه .

وغمغم القديس الذى كان متراخيا على مقعد جلدى كبير :

ــ ان فيها الكثير من الاسلوب الرمزى الذى يثير الخيال .

وهزت جانى كتفيها بلا اكتراث وقالت :

ــ ولكنى عدلت منذ فترة عن الاسلوب الرمزى ، فاذا كنت تريد يا بروفيسور أن اعمل ديكورا لمتحفك فلا أهون على من أن أنقل الى جدرانه مشاهد الطبيعة على حقيقتها مطابقة لما تسألنى اياه .

فهتف زوران : ــ رائع .. ! رائع .. ! فلا شىء يلائم متحفى أكثر من أن أنقل اليه المشاهد الطبيعية للمنطقة التى اهتديت فيها الى اكتشافاتى ، ففى هذا ما يضفى عليها لمسة واقعية .

ثم فرك كفيه فى ابتهاج وأردف : ــ لو انك استطعت أن تفعلى هذا يا جانى لجعلت من متحفى أعجوبة الدهر .

وانبرى القديس يقول وهو ما زال رابضا فى مقعده الوثـــير :

ــ لست أدرى ان كانت على هذا قديرة أم يجتذبها الاسلوب الرمزى فتنحرف عن الواقع .

* * *

قالت جانى تخاطب القديس وقد انصرف زوران :

ــ الحق ان سلوكك يحيرنى ..! أراك تسعى الى زوران وتدفع بى الى طريقه ، ثم اذا بك تثير العقبات والاعتراضات وتحرضه على أن لا يستخدمنى .

فضحك القديس قائلا : ــ يبدو أنك لم تدركى بعد اسلوبى فى العمـــل ... اننى أعترض حتى أســـتفزه فيتشبث بك ، ثم انى لا أريد أن أثير شكوكه ان رآنا متهافتين عليـــه .

وأشعل تمبلار سيجارة وتطلع اليها قائلا :

ــ اذن فقد اعتزمت أن تذهبى الى مزرعته ..؟

فتأملته بنظرة فاحصة وقالت :

ــ الحق انك تدهشنى يا سيمون .. ! الست أنت صاحب هذه الفكرة .. ؟

ــ وهل يدهشك أن أقول ان زوران يعتزم أن يدعوك وحدك دونى ..؟ فهل تقبلين ..؟

ــ اسمع يا ســـيمون ... لقد مات العم جـــارى مقتولا ، وقد جئنا معا الى هافانا لنجمع من المعلومات ما يؤدى بنا الى اكتشاف قاتله ، فاذا كان لابد أن أذهب وحدى الى مزرعة زوران ، فاننى لن أحجم .

فقال : ــ أعرف انك جريئة مولعة بالمغامرات ، كما اعرف أن زوران لن يوجه الى الدعوة معك لزيارة مزرعته

اذ لا شك انه لا يجهل اسمى أو مغامراتى ، فهو يخشى جانبى .

فقالت جانى فى اقتضاب : ــ فى هذه الحالة سوف أعمل على أن أجعله يوجه الدعوة لكلينا ، فاننى لن البى دعوته الا أن تكون أنت معى .

وضحك تمبلار تلك الضحكة العابثة المأثورة عنه وقال :

ــ لعله زوران يأبى أن يدعونى خشية أن يهاجمنى ثعبان سام فيلدغنى ، وأكبر الظن أنه الآن يتداول فى أمرى مع كرامر ، وهما يتساءلان : ــ هل القديس عدو أو صديق .. ؟

وصدق سيمون تمبلار فيما جرى بخلده ، ففى هذه اللحظة كان مارك كرامر جالسا مع رئيسه وهو يسأله:

ــ ترى هل القديس عدو أو صديق .. ؟

وهز البروفيسور زوران رأسه وأجاب :

ــ دع الامر لى يا كرامر ولا تحاول أن تقتحم نفسك على شؤونى .. ! اننى أنا الذى اقرر ، وأنا الذى أضع الخطط ... اننى الآن لا أفكر فى القديس ، وانما الفتاة هى التى تشغل ذهنى .

فقال كرامر : ــ لو أننى كنت مكانك يا بروفيسور لنفيت الفتاة من ذهنى ولأبعدتها عن خاطرى .

ــ يالك من أحمق .. ! أو نسيت منجم الذهب الذى تملكه .. ؟ اننى أريد أن استحوز على كل ما خلفه لويس بعد موته .

فهز كرامر كتفيه فى سآمة وقال :

ــ الذى يخيل الى أن لويس كان داهية ماكرا ،

وأعتقد أنه دبر الأمر بحيث يرغمك على تغيير خططه ان أصابه مكروه . وما يتراءى لى حتى الآن لا يبعث الاطمئنان فى نفسى .

فقال البروفسور فى لهجة تنطوى على الخشونة :

ــ أفصح عما يدور فى نفسك ، فانى أحب دائما أن استمع الى ارائك .

ــ دون أن تأخذ بحرف منها يا بروفسور .

ثم ما لبث أن أردف متسائلا :

ــ وبهذه المناسبة .. ؟ أتعرف من يكون سيمون تمبلار هذا .. ؟

ــ ومنذا الذى لا يعرفه .. ؟ أفى الدنيا من لم يسمع باسم القديس .. ؟ مغامر جسور دوخ الشرطة ، ثم تاب وأناب ، وانقلب حربا على المجرمين .

فقال كرامر معقبا : ــ أصبت يابروفسور ، ولكنك لا تعلم أن القديس رجل خطر ينبغى أن يحذره المرء ، وعندما يكون أشد نعومة فهو عندئذ أشد خطرا .. انه داهية يخفى مخالبه الحادة فى قفاز من حرير .

وأردف كرامر : ــ ترى أى كمين يدبره لنا القديس وما الذى جاء به الى هافانا فى صحبة جانى لويس ..؟ ينبغى أن نكون على حذر .

فقال زوران : ــ اننى على أية حال لم أوجه اليه الدعوة لزيارة المزرعة .

وأطلق كرامر ضحكة ساخرة وقال :

ــ اذا كنت تحسب يابروفسور أن عدم توجيهك الدعوة الى القديس ستحول دون زيارته المزرعة ، فأنت فى هذا واهم ، فأنه لن يعدم وسيلة يقحم بها نفسه عليك . بل أن اغفالك دعوته جدير بأن يثير ريبته فيك ... انه أدهى من أن تخدعه .

ومد كرامر ساقيه أمامه متراخيا فى مقعدة ، واستطرد :

— لقد قرأت كثيرا عن مغامرات القديس ... انه شيطان مريد لا يرحم ، وهو ان أقدم لا ينكص ولا يتراجع وانما يظل فى أعقاب خصمه حتى يرديه قتيلا أو يزج به فى أعماق السجون .

وتنهد البروفسور تنهدة عميقة وقال :

— أو لم تقل لى يا كرامر أنه كان له ماض حافل اذن فانت ند للقديس ، وانى لأعتمد عليك .. سأدعوه الى زيارتنا وسوف نكون فى انتظاره .

فقال كرامر فى زهو وفخار :

— سأعرف كيف أواجهه وكيف أوقفه عند حده ، ولسوف ترى .

ومضي البروفسور الى المنضدة وتناول ورقة سطر عليها هذه الرسالة :

عزيزتى مس لويس

يؤسفنى أننى غفلت عن دعوة صديقك مستر تمبلار الى زيارة المزرعة فى صحبتك ، فقد أذهلتنى لوحاتك الفنية عن مراعاة آداب السلوك ، ولذلك يسرنى أن أبادر الى تدارك هفوتى ، وسوف يكون لرأيه شأن كبير عندى فيما قد يقترحه لتزيين متحفى المتواضع ..

وما أن فرغ زوران من تسطير هذه الرسالة حتى دفع بها الى كرامر وهو يقول :

— وعندما يحضر فسوف نعد له استقبالا حارا يليق بمقامه .

وان هى الا ساعة حتى كانت هذه الرسالة ب يدى جانى لويس ، فقالت للقديس :

ــ ارأيت ياسيمون .. ؟ ها هو ذا قد دعاك الى زيارته .

فقال القديس : ــ اذن فقد ارتاب فى أمرى ، فدعانى لكى يكتشف ما أنوى حياله .

ثم أردف : ــ والآن .. أما زلت ياعزيزتى جانى مصرة على القيام بهذه المغامرة . ؟ يجب أن أبصرك بما ينتظرك ... انك سوف تتعرضين لأشد الأخطار: سيارة تدهمك فجـــأة وتسقطين تحت عجلاتهـــا .. صخرة ضخمة تقع فوق رأسك من حيث لا تدرين رصاصة تنطلق من جوف الظلام فتصيب منك مقتلا.

فقالت فى اقتضاب : ــ ما ينتظرنى لا يغيب عنى وغدا سوف نقوم بالرحلة معا .

فعقب القديس : ــ انها رحلة محفوفة بالأخطار انها رحلة الموت .

فى صباح اليوم التالى كانت الســـيارة منطلقـــة

فقالت : ــ ثق أننى لن أنسى ذلك .

* * *

فى صباح اليـــوم التالى كانت الســـيارة منطلقـــة بجانى لويس وهى جالسة بجانب البروفسور زوران فى حين كان سيمون تمبلار قابعا الى جوار كرامر.

وتساءلت جانى : ــ أمزرعتك بعيدة يابروفسور؟

ــ بينها وبين هافانا ثلاث ساعات ، والطريق فى الســـاعة الأخيرة منها غير ممهد وحافل بالمطبـــات والحفر والصخور .

وبعد ثلاث ســـاعات من الصـــمت الذى تقطعه احاديث عابرة توقفت السيارة فى فناء كبير متســـع الأرجاء يقوم فى صدره بناء من طابقين .

ورمى القديس ببصره فى أرجاء الفناء فأخذت عينه طائرة هيليكوبتر رابضة فى أقصى المكان ،والى جانبها سيارة نقل فوقها العديد من صناديق الآلات والمواد الغذائية ، ونفر من العمال منهمكون فى نقلها الى الطائرة .

وقال القديس متسائلا : — استنادا الى ما أرى من وفرة هذه الصناديق ، يبدو لى يابروفسور أنك تنوى أن تقيم فى هيسبانيولا فترة طويلة .. ؟

فقال البروفسور مجيبا فى لهجة غامضة : على لوحاتها بارزة للأنظار .

— هذا يتوقف على أشياء كثيرة .

ثم التفت الى كرامر يسأله :

— متى يفرغون من شحن الطائرة .. ؟

— ليس قبل حلول المساء .

وأقترب القديس من الطائرة يتفحصها بعين خبير ثم ارتد الى الجماعة قائلا :

— أنهـا من طراز حديث ... ولكن ما حاجتك الى كل هذه الأجهزة الكهربائية التى فى الصناديق ؟

وأجاب زوران وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة :

— أيدهشك هذا يامستر تمبلار .. ؟ اذن صبرا وسوف ترى .. والآن تفضلا معى .

وقادهما الى قاعة فسيحة الأرجاء تتوسط البيت وقال :

— اننى أنوى أن اقيم متحفى هنا ... فى هذه القـاعة . وهذه الصناديق التى تراها مكدسة أمام الجـدران تضـم كل ما عثرت عليه أثناء أبحـاثى وأكتشافاتى . وهى الأشـياء التى ستجسدها جانى

وكان القديس يستمع الى هذه الكلمات صامتا لايتفوه بكلمة ، أما جانى فكانت تبتسم مجاملة وهى تقول فى نفسها :

ـ أيحسب زوران أننى من الغفلة والبلاهة بحيث تجوز على هذه الأكاذيب .. ؟

واستطرد زوران يقول : ـ أنظرى الى خريطـة جزر الانتيل هذه ... لقد استطاع كرامر بشجاعته المأثورة فى قيادة الطائرات أن يقيم خط مواصلات دائم بين مقرى هنا وبين المنطقة التى أقوم فيها بأبحاثى .

وأومأ بأصبعه الى نقطة معينة فوق الخريطة تبعد مئات من الكيلومترات شرق كوبا . ومضى يحرك أصبعه فوق الخريطة حتى أستقر على هيسبانيولا ، ثم قال :

ـ هذه هى منطقة الحدود ... فالى الشمال تقع هيسبانيولا ، والى اليمين تقع جمهورية الدومينكان . أما المكان الذى يثير اهتمامى فهو منطقة الحدود نفسها وهناك سوف ترى يامستر تمبلار أشياء عجيبة لم تقع عليها عين مخلوق بشرى من قبل .

ومال القديس فوق الخريطة يتفحصها بعين خبير ، فاذا المكان كما وصفه زوران منطقة من الأرض يكاد يكون من المستحيل أن يخطو فيها المرء خطوة واحدة اذ كانت مليئة بالمستنقعات والكهوف وقمم الجبال الشاهقة منطقة مهجورة متوحشة .

وقال القديس فى نفسه : ـ فلندعه يبالغ فى الوصف كما يشاء ، فشىء من المبالغة لن يفسد الموقف .

وتابع البروفسور زوران الحديث بقوله :

ـ وهكذا اكتشفت بين منطقتى ياكوى وبارانـكا واديا ضيقا لم تطؤه قدم مخلوق بشرى من قبل . ويقوم على حراسة هذا الوادى جماعة من الفودو ، يحرمون

على أى انسان أن يدنسه بقدميه ... انه عندهم واد مقدس .

وذكر القديس عند هذا كلمات جارى لويس ، فهو نفسه قد أشار فى حديثه الى الفودو — هذه الديانة البدائية التى جاء بها العبيد الأرقاء من افريقيا حين نزحوا الى أرض أمريكا .

وقال القديس معقبا : — لا أكون سعيدا بأن أرى بعينى رأسى ما سمعت الناس يتحدثون عنه .

وقال زوران : — تجمل بالصبر يامستر تمبلار ، وأعلم أننى لن أخيب رجاءك .

وفى الصباح أخطر زوران ضيفيهأن الطائرة وشيكة على الاقلاع ، وبادرت جانى الى غرفتها تعد حقيبتها فلحق بها القديس قائلا :

— جانى ... تذكرى أن هذه آخر فرصة أمامك للأختيار ، فهلا زلت مصرة على القيام بهذه الرحلة المحفوفة بالمكاره والأخطار .. ؟

فأجابت فى لهجة يتجلى فيها العناد :

— انى ما زلت مصرة .

— أنسيت ما وقع لعمك .. ؟

— لم أنس ... ولهذا لابد أن أثأر من قاتله .

— ولكنه ليس مجرد قاتل ... انه مجنون أيضا والقاتل اذا كان مجنونا فهو أشد الناس خطورة .

— لست أبالى .

— ثم لا تنسى أن الطيار كرامر هائم بك غراما ، وهذا جلى فى نظراته وتلميحاته . فهل تراك تعتمدين عليه لكى ينقذك من بين براثن هذا الوحش زوران ..؟

وابتسمت جانى ولم تجب ، وابتسم القديس ولم يعقب بكلمة واحدة .

الفصل السادس

دارت مروحة الطائرة الهليوكوبتر ، وعلا هـــدير محركها ، وما لبثت أن ارتفعت فى الجو .

وتولى كرامر قيادة الطائرة، والى جانبه البروفسور زوران ، أما القديس وجانى فشغلا المقعدين الخلفيين ومن ورائهما كدست صناديق الآلات التى شحنت من المزرعة .

وتسائل القديس فى نبرة أضفى عليها لمســة من السذاجة :

ــ ولكن الم تخطر السلطات المسؤولة عما تنوى أن تقوم به من أبحاث فى هذه المنطقة .. ؟

ــ وما الداعى .. ؟ حسبى تصريح التنقيب الذى لدى فهو يحمينى من تدخل الفضوليين .

فغمغم القديس يقول فى صوت يشوبه الغموض :

ــ الآن بدأت أفهم ، وأخذ الغموض ينجلى ويتكشف.

أما جانى فغرقت فى الصمت ، تتأمل مفتونة مشاهد الطبيعة التى تنكشف أمام عينيها ، وهى تمتد أمامها على مرمى البصر . وان كانت من حين لآخــر توجه أسئلة عابرة يبادر كرامر الى الاجابة عليها .

وتبدت الأحراش الكثيفة بأشجارها الباسقة الملتفة كأنها عمالقة من الجن تبعث الرعب فى الأوصال . وكان زوران يدير بصره هناك وهناك وقد تألقت عيناه ببريق مخيف لم يغب عن القديس أن يفطن اليه ، كما لم يغب عنه أن أصابعه من حين كانت تتقلص وأن يديه كانتــا ترتعدان .

وقال القديس فى نفسه وهو يختلس نظره الى زوران:
ـ هذا الرجل مجنون دون شك .. ! ان بعقله لوثة .. وهو ليس مجرد مجنون ، بل أنه مجنون خطر.
وعمت السهل المنبسط الغابات الكثيفة والأحراش المتشابكة حتى ابتلعت الطريق الذى يخترقها ، فلم يعد يبدو الا شبيها بخط متعرج كأنه ثعبان يتلوى .
وأخيرا أومأ زوران بأصبعه الى نقطة تحت أسفل الهيلوكوبتر وهو يقول :
ـ هذا هو المكان .. !
وكان صوته حافلا بالحماس والانفعال .
وهدأ كرامر من سرعة الطائرة ، وأخذ يدور بها فوق المكان ، ينشد بقعة ملائمة يهبط فيها وسط قمم الجبال الحادة المرفهة ، المتزاحمة كأسنان الابر المتراصة .
أقل هفوة أو أقل هبة ريح كفيلة بأن تدفع بالطائرة الى احدى القمم فتشتبك فيها وتخترقها ، كما يخترق السهم أجساد الأعداء .
وظل كرامر يجوس بطائرته الصغيرة بين القمم ، والريح تعبث بها يمينا ويسارا ، والخطر محدق بها والموت متربص فاغرا فاهه يريد أن يحطم الطائرة المسكينة .
أخيرا أستطاع كرامر ان يستقر بها فى مكان آمن لا نكون مبالغين اذا قلنا أنها بقعة لا تزيد عن حجم الكف .
وقال القديس يهنئه ، وان لم تخل لهجته من نبرة ساخرة .
ـ عمل رائع يا أبولون .. !

ولم يجب الطيار ولم يعقب ، بل لعله لم يسمع .
اما جانى فقطبت جبينها مبدية عـدم ارتياحها الى دعابات القديس .

واستطرد القديس غير عابىء بامتعاضها :

ـ لكأنى بك يا مارك كرامر تصلح لاعبا فى سيرك أكثر مما تصلح طيارا .. ! أتدرى ما هى المهنة التى تلائمك .. ؟ الرجل الذى يدور داخل البرميل .. !

ومرقت الطائرة فى هبوطها ببراعة بين أشـجار الصنوبر حتى استقرت على الأرض .

وند كرامر عن صدره تنهدة ارتياح ، ففى كل مرة يهبط فيها فى هذه البقعة يخامره خوف شديد من أن تشتبك أجنحة المروحة بالأشجار ، فتتحطم الطائرة وتقع كارثة لا مفر منها .

وقال كرامر : ـ ينبغى يا سـيدى أن نقتلع هذه الأشجار .

فقال زوران فى جفوة وغلظة :

ـ هذا أمر ينبغى أن لا تفكر فيه ... محال أن أقتلعها .

فعاد كرامر يقول فى عناد واصرار .

ـ فى يوم من الأيام ستقع كارثة ... وعندها نصل الى الأرض أشلاء متناثرة .. ان السقوط من ارتفاع عشرين أو ثلاثين مترا ليس بالأمر الذى يستهان به .

ولم يجب زوران ، وانما فتح الباب وقفز الى الأرض وما لبث القديس أن حذا حذوه .

ودار القديس ببصره فيما حوله ، ثم قال ضاحكا :

ـ وأين موكب المستقبلين والمرحبين يا بروفسور .؟

فأجاب : ـ تريث وانتظر ، وسوف ترى .

وان هى الا خطوات حتى رأى القديس وراء الأشجار

جماعة من الملونين ساجدين على الأرض ، ووجوههم ملتصقة بالتراب، لا يجسرون على أن يرفعوا أبصارهم.
ورفع احدهم ذراعه فى ضراعة وتوسل ، وهتف :
ـــ الأب الكبير .. ! الأب الكبير .. !

كانوا جميعا عراة الأجساد ، لا يسترهم الا بنطلون قصير من نوع الشورت ، وفوق رؤوسهم مناديل ذات الوان صارخة ، أما عيونهم فاستقرت على وجه البروفسور فى نظرة عبادة وتقديس ـــ تلك النظرة المعهودة من العبيد الأرقاء حين يركعون أمام الأصنام التى يعبدون .

وأحس المغامر الشهير بأصابع جانى تنغرز فى لحمه وهى تتأبط ذراعه ، فقد انتابتها نوبة مخيفة من الحيرة ومضت تسائل نفسها عمن يكون هؤلاء السود ، وما سر هذه العبودية التى يظهرونها حيال البروفسور زوران .. ؟

أما القديس فمضى يفكر فى شىء آخر : أنها معركة رهيبة تلك التى تنتظره وتترقبه .

كان يتوقع أن تحتدم المعركة بينه وبين كرامر وزوران وهذا عنده أمر هين لا يكاد يحفل به . أما أن يدور النضال بينه وبين هؤلاء العبيد فأمر آخر لم يحسب له حسابا ... أنهم فيما يبدو ينظرون الى زوران على أنه اله معبود ، ومثل هؤلاء القوم لا يقتنعون بالمنطق ، ولا يبدد شملهم الرعب ، وانما ينصاعون لأوامر معبودهم كأنهم منومون تنويما مغناطيسيا ، فهم فى هذا أشبه بآلات مسيرة لا عقل لها ولا تفكير .

وما من شك فى أن جانى سوف تكون هى الضحية الأولى .

ومع ذلك لم تزايل القديس سـخريته وميله الى التهكم ، بادر يقول :

ــ الحق يابروفسور انك كسبت الرهان .. لقد وعدت أن تذهلنى بما سوف أرى ، وقد عرفت فعلا كيف تذهلنى .

فقال زوران وعلى شفتيه ابتسامة شيطان :

ــ مهلا مهلا يا مستر تمبلار ، فانك لم تر شيئا بعـد .

وما تمالكت جانى أن قالت وفى صوتها نبرة خوف :

ــ ولكن هؤلاء الرجال .. ؟ يبدو أنهم يقدسونك أنهم فيما أرى يعتبرونك « الها » . . . ؟

وأومأ زوران برأسه فى وقار وهو يقول :

ــ ان الأمر لكما تقولين .... اننى الههم الذى يعبدون ... اننى عندهم « كل شىء » .

وصفق زوران ، وارتفعت الرؤوس تتطلع اليه ، مترقبين ما سوف تتفوه به شفتاه .

وقال زوران فى صوت عميق النبرات :

ــ لا تضيعوا الوقت سدى ... يجب أن تعودوا

وغمغم الرجل الذى كان قد رفع ذراعه عند وصولهم اذ يبدو أنه زعيمهم ، وقال :

ــ انا لك لمطيعون أيها الأب الكبير . . .

ونهض العبد العملاق واقفا ، وفى أعقابه نهض زملاؤه جميعا ، وان هى الا لحظات حتى كانوا قد باعدوا بين الشجيرات المتلاصقة والأغصان المتشابكة فافسحوا بينها مكانا دفعوا اليه بالطائرة ، ثم ما لبثت الأغصان أن ارتدت مكانها ، فاختفت عن الانظار ، وكأنها أدخلت داخل حظيرة خفية .

وقال القديس : ــ تهانئى أيها الأب الكبير .. !

أنه حقا لمخبأ رائع لا يمكن أن يهتدى اليه مخلوق .
وقال زوران وعيناه تبرقان من وراء زجاج نظارته :
— والآن تعالوا معى .
وسار فى المقدمة يتبعه الآخرون ، يشقون طريقهم وسط أحراش لا تكاد القدم تلتمس فيها موضعا .
وقالت جانى فى شىء من الرهبة :
— وهذه الأحراش ... ؟ لاشــك أنهــا مليئة بالحيوانات المفترسة والزواحف السامة .. ؟
فأجابها زوران : — لا تخافى يا عزيزتى جانى ... أن بعض عبيدى يتقدموننا ليخلوا لنا الطريق .
وانتهوا الى تل تحجبه الأشجار ، وأخذوا ينحدرون الى سفحه على مهل مهتدين بالضوء الذى كان ينبعث من بطارية صغيرة فى يد زوران .
وبلغوا أخيرا بابا ضخما مستدير الشكل يسد الطريق الذى كانوا فيه يسيرون .
وقال زوران وهو يشير الى الباب :
— تلك خزانة هائلة من طراز خاص لا مثيل له فى الدنيا .
وقال القديس متسائلا : — وهذا معناه ... ؟
فأجاب زوران : — معناه يا عزيزى مستر تمبلار أن اغتصاب هذه الخزانة سوف يستعصى عليك .. لقد شهد لك العالم أنه ما من خزانة تصمد أمامك أكثر من دقائق معدودات . أما هذه الخزانة فشىء لا عهد لك به أن من المستحيل عليك أن تغتصبها .
وأطلق زوران ضحكة جنونية وأردف :
— والآن انتبهوا أيها السادة ، ففى داخل هذه الخزانة أغرب أعجوبة فى العالم .

الفصل السابع

أدار البروفسور زوران عدة أقراص وأزرار فى الباب المستدير ، ودار الباب على نفسه وانفتح .

واستجابة لايمائة من يد زوران تقدمت جانى داخله وفى أعقابها القديس .

وتسمر الأثنان مذهولين مشدوهين ، لا يكاد أن يصدقان ما وقعت عليه أبصارهما .

القيا انفسهما داخل فجوة فى التل تفضى الى كهف منحوت فى الصخور ، ومن السقف تتدلى أعمدة مدببة كأنها رماح متراصة فوق الرؤوس ، وتوشك أن تنغرز فى أدمغة الواقفين تحتها . كما كانت هناك خناجر بارزة من الجدران أو متدلية من السقف ، كأنها نذير بالموت .

وكان الكهف العجيب مضاءا بنور خفى المصدر لا يدرى أحد من أين ينبعث . كما كان هناك سلم كبير ينحدر الى أسفل الى حيث لا يدرى أحد الى أين يؤدى .

وفى أقصى الكهف أكواخ صغيرة متشابهة شكلا ومتماثلة حجما يقوم بعضها الى جانب بعض . ووسط هذه الاكواخ ممشى ضيق ينتهى ببعض درجات صاعدة الى أعلى ، وتؤدى الى قاعة أخرى منحوتة فى الصخر ، وقد زينت جدران القاعة بالعديد من اللوحات .

وقال البروفيسور زوران فى نبرة ساخر :

— والان ما رأيك يا مستر تمبلار فى قريتى هذه .. قرية الكهوف .. ؟

فأطلق القديس ضحكة خفيفة ثم قال :
ـ هذا يتوقف يا بروفيسور على ما سوف نرى بعد ذلك ، ومع هذا فلست أكتمك انك استطعت أن تثير دهشتى ، فلاول مرة أشاهد قرية مشيدة داخل كهف.. انك فى الحق لرجل قدير أيها الاب الكبير .. معذرة .. أردت أن أقول يا بروفيسور زوران .
فقطب البروفيسور جبينه وقال :
ـ يبدو لى يا مستر تمبلار انك تحب أن تلعب بالنار ، فاذا كنت لا تزال طفلا فدعنى أحذرك وأنذرك: ان النار ليست لعبة .. انها تحرق وتشوى البدن .
وبسط القديس يديه أمام وجهه ، وتأملهما ثم قال وهو يتنهد :
ـ واأسفاه .. ! طالما حذرنى الناس من اللعب بالنار حتى لا أحرق يدى ، ومع ذلك أجد يدى كل صباح سليمتين لم يمسسهما سوء .. انظر .. !
وأرادت جانى أن تقطع عليهما هذا الحوار فأسرعت تقول :
ـ الحق ان هذا الذى رأيت قد أذهلنى وأدار رأسى .
فقال زوران :
ـ ولكن المفاجات التى مازلت أخبئها أكبر وأعظم .. تعالى معى .
وهبط زوران الدرجات المؤدية الى أسفل والتى يسدها باب حديدى ضخم . فانبرى القديس يقول متهكما :
ـ ان الآلهة أيها الأب الكبير لا يقيمون فى الطوابق السفلى ، وانما يصعدون دائما الى أعلى ، فهل أنت اله أو شيطان .. ؟

ورنت ضحكة القديس ، وتجاوبت بها أصداء الكهف .

واستطرد القديس وهو يهبط الدرجات فى أثر زوران :

ــ أترانى أهبط الان الى أغوار الجحيم .. ؟ ومع ذلك فالأمر عجيب ، فانى لا أشعر بلفحات النيران المتصاعدة .

فقال زوران :

ــ هذا لأن جحيمى مكيف الهواء . وعلى أى فلن يصيبك سوء ان أنت أطعت تعليماتى .

فقال القديس ساخرا :

ــ سأطيعك حتى تحسبنى عبدا من عبيدك الارقاء.

وظلوا يهبطون حتى بلغوا طرقة قامت الأبواب على جانبيها ، وعلى كل باب حارس يقف منتصبا فى انتباه، وراسه مغطاة لا تبين منها الا عيناه .

ولكن هؤلاء الحراس لم يكونوا من بنى البشر ، وانما كانوا أشبه بآلات ميكانيكية ليست لها سمات البشر وان كانوا من البشر .

وقال القديس : اننى أرى لديك العديد من الحراس، فهل يمكن أن تعيرنى واحد منهم ليرد عنى الأخطار التى قد تتهددنى .. أننى أحب أن يحرسنى واحد من هؤلاء الروبوت .

فقال زوران فى زهو وافتخار :

ــ ولكن حراسى ليسوا من طراز « روبوت » الانسان الميكانيكى .. ان أجهزتهم العقلية أشد حساسية وأكثر استجابة . ان جهاز روبوت يمكن تعديله بل ايقافه عن العمل اطلاقا اذا ما عرف

العدو سر تركيبه وتشغيله . أما هؤلاء فمن المستحيل أن ..

وبتر جملته اذ كانوا قد وصلوا الى باب فى المشى فأسرع زنجيان كانا يسيران وراءهم الى الباب يفتحانه للاب الكبير ، ثم تنحيا جانبا يتطلعان الى زوران بنظرات تفيض عبادة وتقديسا .

وقال زوران يسأل القديس :

ــ والآن ما رأيك فيما رأيت يا مستر تمبلار .. ؟ كيف عرف الزنجيان اننى أريد أن أدخل هذه الغرفة بالذات .. ؟

ولبث القديس صامتا لا يجيب ، فاستطرد زوران :

ــ سأزيدك أيضاحا يا مستر تمبلار .. انهما ــ وغيرهم كثيرون ــ يدينون لى بطاعة عمياء . وحسبى اشارة من اصبعى ليبادروا الى تنفيذ ما أريد ..

وأشعل زوران سيجارا ضخما دسه بين شفتيه ، وتابع حديثه قائلا :

ــ هناك اتصال روحى بين مخى ومخهم ، فأى خاطر يطوف بذهنى يمكن أن أنقله الى مخهم فيطيعون، وذلك دون أن أتفوه بكلمة واحدة .. هل تفهمين ياجانى ما أقول .. ؟

ــ وهزت جانى رأسها صامتة ، فقد أذهلها ما رأت وما سمعت ، وكانت تسائل نفسها كيف استطاع هذا الرجل أن يصل الى هذه السيطرة الخارقة التى تشبه المعجزات .

والتفت زوران الى الزنجيين يناديهما :

ــ كواكو .. ! دافى .. !

وتطلع اليه الرجلان بتلك النظرات التى تتجلى فيها

العبودية – نظرة المرء الى صنم معبود .
وقال زوران وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :
– والآن اتبعاهما الى غرفتيكما .
فقالت جانى : غرفتينا .. ؟ اذن فقد كنت موقنا من قدومنا .. ؟
فلاحت فى وجهه ابتسامة ساخرة وأجاب :
– كنت موقنا يا طفلتى العزيزة من انك سوف تحضرين .. وانى لسعيد بقدومك .
فقال القديس : ولكننى جئت فى صحبتها ، فهل يسعدك قدومى أنا أيضا .. ؟ ان وجودى قد يرغمك على تغيير بعض الخطط .
– هذا ما سوف نتبينه .. ولكن لا تنس أنك قلت عنى اننى قد أكون الها أو شيطانا ، وما من شك انك تعرف ان القديس اقل قسوة من الشياطين أو الآلهة ... والان أرجو أن تجدوا مخادعكم مريحة ملائمة بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة .
وقال القديس متسائلا :
– أمعنى هذا أنك تنوى أن تقدم الينا ضيافة مستديمة .. ؟
– ولم لا .. ؟ ان لدى خططى يا مستر تمبلار ، وأعتقد ...
ولكن القديس ابتدره مقاطعا فى لهجة هادئة :
– ونحن أيضا لدينا خططنا أيها الأب الكبير .
ودارت جانى فيما حولها بنظرة قلقة حائرة .
اذن فقد أصبحا أسيرين لدى هذا الشيطان زوران ، فى كهف تحت الأرض ، يخفره حراس يعبدونه ويتفانون فى خدمته ، فضلا عن أجهزة آلية من أحدث الاختراعات .

ولم تتمالك جانى أن تساءلت :
ــ ترى هل جئت بالعم جارى الى هذا المكان .. ؟
ــ أثمة داع لمثل هذه الاسئلة التى قد تثير اجاباتها القلق والانزعاج .. ؟ أولى بك يا جانى أن تأوى الى مخدعك .

فقال القديس : على أية حال سنقضى ليلتنا هذه فى ضيافة الاب الكبير ، وغدا يعود بنا الاخ كرامر الى المدينــــة .

وارتسمت على وجه زوران امارات توحى بالجنون وقال :
ــ أرجوك يا عزيزى تمبلار أن تلغى ارادتك مادمت قد وطئت هذا المكان بقدمك .. هنا أن الحاكم المسيطر، وارادتى فوق الجميع ، وليس لأحد كلمة بعد كلمتى.
فقالت جانى معترضة :
ــ ولكننى لم أحضر معى أدوات الرسم التى قــد أحتــاج اليها .

وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة ، ودخــل ثلاثة رجال يحملون العديد من الحقائب ، ومن عجب أنهــا كانت حقائب جانى وسيمون تمبلار .

واطلق القديس ضحكة ساخرة وقال :
ــ لقد احسنت أيها الأب الكبير .. ! يبــدو أن لا شىء يفوتك .

ونفث زوران عــدة أنفاس من سيجارة ، وتألقت عيناه ببريق جنونى وقال :
ــ اتريد يا مستر تمبلار أن أكشف لك عما تفكر فيــه .. ؟ انك تفكر فى اثارة عبيدى ضدى . وأحب أن أقول لك ان ما تهدف اليه أمر مستحيل .. ومــع

ذلك هبك استطعت ان تتغلب على الحراس ، فكيف يتسنى لك أن تغادر هذا المكان .. لا أحد يملك أن يتجاوز عتبته الا بناء على أمرى .

فقال القديس فى نبرة استخفاف :

ــ ان لى أساليبى التى لا تخيب .

ــ ان باب الكهف موصد بجهاز كهربائى لا يعـــرف أحد من عبيدى سر ادارته ، ولا حتى كرامر نفسه .

وفرقع زوران بأصابعه فبادر اليـــه كواكو ودافى يلبيان أوامره، فأومأ برأسه ناحية الحقائب المرصوصة، فأسرعا يحملانها ، ثم تقدم الموكب الى غرفتين وان كانتا ضيقتين صغيرتين كالزنزانات ، الا أنهما كانتا مؤثثتان بذوق رفيع ، وملحقة بهما غرفة متســـــعة يمكن استعمالها مكتبة وَغرفة استقبال .

وقال : هذا هو الجناح الخـــاص بك يا جـــانى ، وسأسمح لكما بالاقامة معا بصفة مؤقتة ، ولكن عند أول بادرة للتمرد لن أتردد فى أن أعزل كلا منـــكما عن صاحبه .. وهذا الانذار موجه اليك أنت بصفة خاصة يا مستر تمبلار .

فتساءل تمبلار :

ــ وهل الخروج من هذا الجناح محرم علينا .. ؟

ــ مغادرة هذا المسكن محظورة عليكما ، وها أنت ترى أن الحراس قائمون على الباب ، ولديهم أوامر صارمة مشـــددة وهم لا يعرفون التهـــاون ، كما أنهم مكلفون بتلبية جميع طلباتكم العادية .. والآن أدعكما تصيبان شيئا من الراحة ، وسوف نلتقى على مائـــدة العشاء .

واستدار يهم بالانصراف ، ولكن جانى لم تطـــق صبرا ، بل ابتدرته متسائلة :

ـ انى أريد أن أعرف السر فى هذا الاعتقال .

فقال البروفيسور : يا للشباب المتعجل .. ! ألم تعرفى بعد أننى لا أفصح عن أسرارى الا فى الوقت الملائم .. ؟

وغادر الجناح المخصص لهما ، وانصفق الباب وراءه .

وتحولت جانى الى القديس وامارات اليأس تعلو وجهها .

وقالت : والآن ما العمل .. ؟ لا تحاول أن تبكتنى وتلومنى ، فتقول : أما أنذرتك من قبل بما ينتظرك .

فقال القديس :

ـ لا عليك يا فتاتى .. أننى الآن لن أنبش الماضى ، وحسبى أن أكرس ذهنى للتفكير فى المستقبل .

فقالت : المستقبل ! وأى مستقبل لنا ونحن فى قاع كهف معزولين عن العالم ، ودوننا والحرية أبواب كهربائية يقوم عليها الحراس .. ترى ما الذى ينوى زوران أن يفعله بنا .. ؟ انه مجنون ، ولا سبيل الى أن نتكهن بما يدبر فى الخفاء .

فربت القديس على ذراعها فى رفق وقال :

ـ اسمعى يا جانى .. ثقى بى .. لقد لقيت فى حياتى أهوالا أبشع وأشد .. اننى لا أخاف زوران ولا طياره كرامر ، ولا أخاف عبيده أو أجهزته الكهربائية .. كل هذا عندى لعبة أطفال .. وكل ما أبغيه منك هو أن تثقى بى .

وعند كلماته المشجعة تبددت من وجهها سمات الرعب ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة تشع اطمئنانا .

الفصل الثامن

فى مكتبه الضيق الحافل بالكتب والملفات واجهزة كهربائية عجيبةقائمة فى أحد الأركان ــ كان البروفيسور زوران متراخيا فى مقعده ، وهو غارق فى التفكير .

لقد أحكم الخطة ، وأحسن التدبير ، ولم تكن هناك ثغرة ينساب منها الفشل ، ولكن ظهور القديس المفاجىء ثار انزعاجه ، فهذا تطفل لم يكن يتوقعه ، وهو شىء قد يحمله على تعديل خطته .

وكان كرامر مستويا على مقعد فى ركن الغرفة تلوح فى وجهه امارات الانزعاج ، فقد كان عهده برئيسه أنه رجل لا يتراجع ولو استهدف للاخطار . وكان كرامر يعرف الكثير عن مغامرات تمبلار ، ولم يكن راغبا فى ان يقحم نفسه فى معركة ازاء القديس ، فانه فى حقيقة الامر ليس قديسا ، وانما هو شيطان مريد ليس لأحد قبل بمواجهته .

وامتدت يد زوران الى زر بجانبه ، ودار الباب على محوره ، ونفذ منه عملاق زنجى ، تلمع صلعته كأنها قطعة من الرخام الأسود المصقول ، ويتدلى من حزامه خنجر مرهف .

وسأله زوران : أأنت على استعداد .

فأجاب : ان الرجال جميعا متأهبين فى انتظار اوامرك .

ــ حسنا .. بعد العشاء مباشرة سأصدر اليك تعليماتى .

كانت نظرات هذا العملاق توحى بالاذعان المطلق ، حتى لكأنه جهاز آلى يستجيب الى ضغطة على زر من الأزرار ... انه رجل لا يفكر ، ولا قدرة له على التفكير ، ومهمته الوحيدة هى ان ينفذ ، ولا شىء الا ان ينفذ .

وقال زوران : اننى اريد حفلا رائعا .. حفلا لا تمحوه الأعوام من الذاكرة ، فاخطر « ابنائى » برغبتى .

ــ سمعا وطاعة أيها الأب الكبير .

وبايماءة من يد زوران انسحب العملاق من الغرفة، وعينا زوران تتابعه ، وعلى شفتيه ابتسامة رضا وارتياح .

وغرق زوران فترة طويلة فى سجل أمامه ، يدرس ما هو مسطور فيه من أرقام ومعادلات رياضية .

ثم غمغم فى صوت خافت يخاطب نفسه :

ــ لا أستطيع أن اخدع نفسى .. هذا مستحيل .

واخيرا تطلع الى الساعة الكهربائية التى تعلو الجدار ، فألفاها الثامنة مساء ، فنهض من فوره الى قاعة المائدة .

وقال يخاطب الفتاة : سوف تكونين ربة بيت رائعة .

ورمته بنظرة سريعة ، ولكنها لم تعقب على عبارته.

كانت جانى ترتدى فستانا أنيقا يكشف عن جمالها ، وقد فعلت هذا استجابة لمشورة القديس الذى قال لها :

ــ أريد منك الليلة أن تكونى فاتنة مغرية يدير جمالك الرؤوس .

كان الفستان يكشف عن كتفيها ومنابت نهديها ، ثم يضيق عند الخصر فيكسب جسمها رشاقة مذهلة. وقد تركت شعرها ينساب على جبينها وكتفيها فى خصلات مهتزة تخلب الأبصار .

كانت حقا فتنة للعيون ، وكان كرامر مشـــدوها لا يكاد يرفع بصره عنها ، فى حين غرق القـــديس وزوران فى حديث طويل لا يكفان عنه لحظة .

أما الزنجيـــان كواكو ودافى فكان هما القـــائمان بالخدمة ، فى حذق وفى صمت وكانا حفاة الأقـــدام لا تسمع لهما وقعا .

وقال القديس يخاطب زوران :

ـــ الخدم فى هذه الأيام مشكلة لا حل لها ، ولكن يبدو لى انك وفقت إلى حلها ، فهلاّ سمحت لى بأن أبتاع منك هذين الزنجيين .

فقال زوران : ولم لا تستخدم احدى النساء مديرة لبيتك .. ؟

ـــ أتريد منى أن أكشف رذائلى أمام امرأة .. ؟

وجاء دافى بلون شهى من الطعام ، فالتفت القديس الى الفتاة قائلا :

ـــ ألست جائعة يا عزيزتى جانى .. ؟ يجب أن تأكلى وتملاى بطنـــك ، فان صديقك البروفيســـور حريص على أن لا يقال عنه أن ملك الخاطفين يضن بالطعام على ضحاياه ، فى حين أنه كما ترين خبير بفن الطهى خبرته بفن الاختطاف .

فقال زوران : شكرا على هذا الثناء يا مســـتر تمبلار ، فاننى فى الواقع حريص على أن أهىء لكما ذكريات طيبة عن حسن ضيافتى .

فهز القديس كتفيه فى سخرية وقال بصوت لاذع :
ــ انها ضيافة اجبارية ، أليس كذلك .. ؟ ولكن الذى أدهشنى يا بروفيسور انك أشرت فى حديثك الى « الذكريات » ، فهل معنى ذلك أن هناك أملا فى أن يكون لنا « مستقبل » حتى تكون لنا ذكريات .. ؟
وابتسم زوران ، ولكنها كانت ابتسامة تحمل نذيرا بالتهديد ، وقال :
ــ انى لأكون سعيدا يا مستر تمبــلار لو انك لم تجبرنى على أن أتخذ حيالك اجراء قاســيا .. انى أستطيع أن أتجرد من الرحمة ــ اذا أنت أردت ذلك لنفسك .. انى أستطيع أن أقتلك .
فتنهد القديس قائلا :
ــ ولكم يسعدنى أنا أيضا أن لا تضطرنى الى أن اقتلك .. ألم يبلغك أبدا أن القديس يستطيع أن يقتل حين يشاء .
كانت جانى تستمع الى الحديث الذى يدور بــين الرجلين وهى لائذة بالصمت ، وقد أذهلها ما يتراءى على القديس من هدوء واستخفاف ، وان كانت تعرف فيماقرأته من مغامراته أنه يلقى الاخطار باستهانة وبلا مبالاة ، وانه عندما يكون أشد هدوءا فهو اذن الاشد خطرا .
أما كرامر فكان يلوح علـيــه أنه غير مبال بهــذا الحوار الذى يشبه مقارعة السيوف بين المتبارزين ، وان لا شيء يشغله فى هذه الغرفة اذ كان بصره مركزا على جانى فى وله وافتنان .
وفرغوا من العشاء فقال زوران فى زهو وفخار :
ــ والآن حان الوقت لكى تشاهدوا ما لم يشاهده من قبل أحد سواى .

فتساءل القديس : حتى كرامر .. ؟

فأجاب زوران :

ـ حتى كرامر نفسه .

فعاد القديس يتساءل :

ـ وحتى جارى لويس .. ؟

وتلاقت أنظار الرجلين ، متحدية متبارزة .

وقال زوران :

ـ كان لويس يتمنى ، ولكن لم تتح له الفرصة .

ونهض زوران ، ومشوا فى أعقابه صامتين ، وهبطوا بضع درجات ، وانفتح أمامهم باب كبير ، ووقف القديس مذهولا مأخوذا .

على أرضية الكهف أخذت عين القديس جماعة من الناس ساجدين على الأرض ، صامتين لا يتكلمون ، وقد رفعوا أذرعتهم الى أعلى ، وفى قبضة كل منهم مشعل يتوهج بالنار . وما أن تبدى الاب الكبير أمامهم حتى هبوا وقوفا ، وأنظارهم متعلقة به ، ووجوههم جامدة كأنما قدت من الصخر .

رفع زوران ذراعه ، فاذا بهم جميعا يتقدمون نحوه بضع خطوات ، وأصواتهم تدوى فى نفس واحد كأنها الرعد الصاعق :

ـ الاب الكبير .. ! الاب الكبير .. !

كانوا يقدمون فروض الطاعة الى « الههم » الذى يعبدون .

وأطلق القديس ضحكة رنانة تجاوبت بها أصداء الكهف وقال يخاطب زوران :

ـ انهم فيما أرى يعتبرونك الها ، ولكن انى لهم ان يعلموا الحقيقة يا بروفيسور .. ! ان الشيطان

نفسه له أتباعه الذين يعبدونه ويقدسونه ، ولو أن الحقيقة تكشفت لهم لعرفوا انك شيطان لا اله .

فقال زوران فى جفوة وخشونة :

ــ لو اننى مكانك يا مستر تمبلار لتخليت عن هذا التهكم .

فهز تمبلار كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ــ وهل تحسب أننى يمكن أن أتغير فى لحظات ، وقد عشت عمرى أسخر وأتهكم .

وشدت جانى على ذراع تمبلار وغمغمت فى خفوت:

ــ انى خائفة .. خائفة جدا .

وتناهت كلماتها الى أذنى زوران فقال :

ــ انك على حق فى خوفك يا جانى ، فانى أستطيع أن أكون قاسيا لا أرحم اذا فكر انسان فى أن يعصانى ويتمرد على أوامرى .. ان هؤلاء الرجال لا يحجمون عن شيء استجابة لايمـــاءة من أصبعى . أما كيف أسيطر عليهم وأتحكم فى ارادتهم وأحركهم كيف أشاء ــ فهذا سرى الذى أطويه عن الناس جميعا .. سر الاله جوفينشيا .

فقال تمبلار : ــ وانى اراهن يا بروفيسور على انك لن تضن علينا بهذا السر مقابل قدر من المال .

فاستدار اليه زوران قائلا وعيناه تبرقان :

ــ ألا تستحق حياة « أولادى » هذه الثروة .. ؟ ان لدينا كنزا هائلا يا مستر تمبلار ، ولدى البرهان على هذا ، فاذا وقعنا عليه فلا شك أنك تنوى أن تقتسمه معى .. والآن أرجو أن تتبعونى .

ومشى زوران الى أقصى الكهف ..

وكانت جانى متلهفة الى أن تفهم ما يجرى أمامها فتساءلت :

ـ بروفيسور .. اهؤلاء الرجال من طائفة الزومبى .. ؟

وكان ترديد هذه الكلمة بمثابة صاعقة ترددت فى اركان الكهف ، فالزومبى فى نظر أهل جزر الانتيل مجرد أشباح لا وجود لها .. مجرد أطياف يوقنون بوجودها ومع ذلك فلم يرها أحد أو يلمسها ....

وذكر القديس كلمات جارى لويس حين حدثه عن اولئك الزنوج الذين يتصرفون وكأنهم مخدرون تجردوا من العقول ومن القدرة على التفكير .

وذكرت جانى كيف كان عمها يتحدث عن احتفالات الفودو ، وما يلابسها من مشاهد الرعب والفزع . اما هذا الرجل ـ زوران ـ فيبدو أنه سعيد بكل هذا، فما من شك اذن فى أنه مجنون .

والتفت زوران الى جانى قائلا :

ـ كلا يا عزيزتى .. ان « أولادى » ليسوا من طائفة الزومبى .

وهمست جانى فى اذن القديس بصوت خافت :

ـ يخيل الى يا سيمون أننا لسنا الآن على وجه الأرض ، وانما نحن فى أغوار الجحيم .

وتعلقت جانى بذراع القديس ، وبدنها يرتعد ، وفى عينيها نظرة من الخوف .

وتقدم منها كرامر خطوة ، كأنما يريد أن يحميها أو يحميها أو يبدد خوفها ، ولكنه ما لبث أن ارتد على أعقابه ، متباعدا عنها . ولكن حركته هذه نمت عن اهتمامه بالفتاة وقلقه عليها ، ومع ذلك كان حريصا على أن يتكتم هذا الاهتمام حتى لا يبطش به زوران .

ومضى زوران يتقـدمهم بخطى بطيئـة متمهلة ، والموكب يمشى فى أعقابه مترقبا ما سوف تتكشف عنه هذه المغامرة .

واجتازوا الطريق الذى تقوم على جانبيه الاكواخ الصغيرة المستديرةالخاصة بالعبيد، فخطرت للضيفين فكرة طارئة عبرت عنها جانى بأن قالت :

ــ ولكنى لا أرى هنا أثرا « للاولاد » .

فأجابها القديس :

ــ لعلهم الان مشغولون بلعبة الهولاهوب التى يحبها الاخ زوران .

فعقب زوران بأن قال دون أن يلتفت وراءه :

ــ الحق انك أغبى مخلوق رأيته على وجه الارض.. انك تلعب بالنار وأنت لا تدرى .

وضحك القديس وقال وصدى ضحكته ينبض بالسخرية :

ــ وثمة شىء آخر أعيانى فهمه يا بروفيسور .. أننى لم أر حتى الآن أثرا للنساء ، فهل معنى ذلك أنك اكتشفت طريقة لانتاج النسل بغير التزاوج بين النساء والرجال .. ؟

وهز زوران كتفيه دون أن يجيب .

كانوا الآن قد انتهوا الى أسفل درج مكـون من درجات قليلة يؤدى الى معبد كان سيمون قد لمحه على البعد عند خوله الى الكهف .

وكان فى الحق معبدا عجيب الشكل ، فهو مكون من مجموعة من المقاصير والأبراج مشيدة بالاسمنت يقوم بينها العديد من الاعمدة لكى تفصل كل مقصورة عن الاخرى ، كأنما خصصت كل مقصورة لغرض معين .

وتطلع زوران الى القديس متسائلا :

ــ ترى هل بدأت الان تفهم .. ؟

فأجاب : ــ فلنقل اذن أن لدى فكرة غامضة .

ــ هذا المعبد هو عبارة عن المعمل الذى أقوم فيه بأبحاثى .. هنا معبد الخلق حيث « أخلق » شعبى .

فقال سيمون بتلك اللهجة الساخرة التى لا تزايل نبراته :

ــ حقا .. ؟ لم أكن أتصور أبدا أن لرعاياك عقولا مفكرة .. ترى هل استطعت أيضا أن « تحقنهم » بأمخاخ تفكر .. ؟

ورماه زوران بنظرة شزراء ، وان تحاشى أن يجيب على سؤاله .

ووضع زوران قدمه على أول درجة ، فانبعث منها صوت خافت شبيه برنين الجرس ، ثم أضيئت أنوار قوية كشفت لابصارهم الرسومات العجيبة التى تزين الجدار .. كواكب ، ونجوم ، وشهب ، ورموز تمثل الطبيعة ونشوء الخلق والاشباح الخفية والشياطين .

فقال القديس :

ــ ما هذا .. ؟ اذلك صورة لاخوانك الشياطين ، وكيف يعيشون فى أعماق الجحيم .. ؟

فارتفع صوت زوران فى غضب واستياء :

ــ اصمت وأطبق شفتيك .

وصعدوا بضع درجات أخرى ، ودون أن تمد يد انفتح باب المعبد على مصراعيه فى بطء وتمهل . وكان داخل المعبد مضاء بضوء خافت يلقى فيما حوله ظلالا رهيبـــــة ..

وفى هذا الجو الرهيب العجيب شوهدت أشباح جاثية على الأرض تتحرك وتنهض حاملة فى أيديها مشاعل كهربائية . وفى صدر المعبد تكشفت للابصار لوحة مسطورا عليها هذه الكلمات :

« باب الشباب الأبدى الخالد »

وهتف القديس : ــ الا ما أعجب هذا .. ! انى ما رأيت أبدا شيئا من هذا القبيل .. حتى فى مدينة عجائب والت ديزنى .. هل تسمح لى يا بروفيسور أن أدعو ديزنى لمشاهدة « مدينة عجائبك » .. ؟ لاشك أنه سيقف حيالها مصعوقا مشدوها .

وهز زوران كتفيه ، ورفع رأسه وشد قامته ، وفى معالم وجهه ارتسم تعبير شيطانى .

وباشارة من يده أومأ الى المعبد وهو يقول :

ــ انصتوا الى ولا تضحكوا ولا تسخروا .. ! هنا يكمن سر جوفنشيا الهةالشباب .. هنا تجدون الشباب الأبدى .. من يدخل هنا يكون محصنا ضد الموت .. سيعيش الى أبد الابدين .. يموت ثم أحييه من جديد، فيظل يعيش ، شابا قويا ، لا زايله الشباب ، ولا يمسه الموت .

ثم تحول الى حراس المعبد وقال متسائلا :

ــ هل كل شىء جاهز ومعد .. ؟

فأجاب الحراس الستة فى نفس واحد :

ــ كل شىء أيها الأب الكبير .

ــ وأين الرجل السعيد الذى يريد أن يرى أسرار المعبد .. ؟

ــ انه فى انتظارك أيها الأب الكبير .

ــ وهل يعلم الاخطار التى سوف يتعرض لها ..؟

ــ انه يعرف كل شيء أيها الأب الكبير .

ــ وهل هو راض وقابل لما سوف يستهدف له .. ؟

فأجابوا : ــ انه قابل وسعيد بأن يحظى برعايتك .

واستقرت الانظار على باب صغير دار حول محوره، وبرز من ورائه رجل عجوز أشبه بالهيكل العظمى ، وتقدم اليهم الشيخ فى خطى واهنة متخاذلة وهو يتوكأ على عكازين ، ويترنح فى مسيرته كأنما يوشك أن يتهاوى أرضا .

انه دون شك رجل على حافة القبر .. واذا كانت احدى قدميه مستقرة على الارض ، فما من شك فى أن قدمه الاخرى فى باطن الارض .

وتكلم العجوز المتهالك ، وكان صوته أشد تهالكا .

قال : اننى مستعد أيها الاب الكبير .. اننى أتوسل اليك أن تجعلنى أولد من جديد .

وترددت فى جنبات المعبد هتافات داوية ، واستدار القديس يتأمل وجوه العبيد المنتشرين فى أرجاء المعبد .

كانوا جميعا فى نشوة .. فى ذهول طاغ .. وكانوا يتطلعون الى زوران بنظرات محمومة .

انه عندهم ليس رجلا ــ بل اله معبود .

وتكلم زوران فى صوت عميق النبرات .

قال : ــ والان تعال يا عبدى وادخل من هذا الباب .. باب الابدية .. باب الشباب الخالد الذى لا يزول ولا يضمحل .. هيا ادخل الى معبد «الخلق» .. سأردك شابا فى العشرين .

الفصـــل التاسع

كانت للقديس تجارب عديدة مع الكثيرين من السحرة والدجالين والمشعوذين . ولكن كانت هذه عنده دون شك أول تجربة يمارسها فى الادغال مع دجال يزعم أنه قادر على أن « يخلق البشر » .

كان المعبد مزودا بالعديد من الاجهزة الكهربائيـــة التى لم ير لها القديس مثيلا من قبـــــل . وفى أحـــد الاركان دولاب رصت فيه المشارط والملاقيط ، وعلى مائدة مجاورة صفوف متراصة من الزجاجات والانابيب

وقال القديس وهو يشتمل المكان بنظرة سريعة :

ــ الحق انه منظر رائع بديع .

فقال زوران : ان كنت تتهكم فأنت مخطىء ، فان ما سوف تراه مشهد له روعته ، ولا مفر لك من أن تقر بهـــــذا .

وتساءل القديس : ــ ولكن فيم تســـتخدم معملك هذا .. ؟

ــ انى أستخدمه فيما لا يخطر لك على بال .. انظر الى هذا مثلا .

كان فى وسط القاعة جهاز كهربائى ضخم الحجم ، عند رأسه عجلة كبيرة تقوم فى طرف منضدة طويلة ، وتخرج من الجهاز سيور من الصلب ومن الجلد ، فضلا عن قيود حديدية ذات أقفال .

وقال القديس هازئا :

ــ هذا فيما أعتقد هو مذبح المعبد .

فقال زوران :

انك أجدت التعبير .

وتحول زوران الى العجوز المتداعى المقوس الظهر قائلا :

ـ تعال يا ولدى أرقد على هذا السرير .. سرير السعادة والسلام .. انك لن تلبث بعد هذا أن تصبح شخصا آخر مختلفا .. ستعيش فى ذلك الحلم الرائع الذى طالما تمناه كل مخلوق فى هذه الدنيا .

وتألقت عينا البروفيسور وقال فى صوت متمهل :

ـ حلم الشباب الأبدى .. الشباب الخالد الذى لا يزول .

وتقدم الرجل استجابة لايماءة الاب الكبير .

ولكنه لم يكن رجلا .. حقا كانت له صورة انسان ، ولكنه كان مجردا عن أى شعور انسانى .. كان يبدو وكأنه مخدر أو منوم تنويما مغناطيسيا ، وساءل القديس نفسه عما اذا كان هذا العجوز قد حقن بمادة كيماوية انتزعت منه الارادة والقدرة على التفكير .

وقال القديس : ـ الان أصبح لا يدهشنى أن يلقبوك بالاب الكبير .

واستدار اليه زوران فى حركة سريعة لا تتفق مع سنه وقال :

ـ انتظر وسوف تقتنع .. اننى لست فى نظرهم مجرد أب .. اننى شىء أكبر بكثير من أن أكون أبا .

وباشارة من يده صعد العجوز الاسود الى الاريكة يساعده كرامر على ارتقائها ، وأنطرح يرقد عليها .

وقال زوران يخاطبه فى عطف ورقة :

ـ تجمل بالصبر قليلا وسوف تعود شابا .. سيكون لك الشباب الخالد .

وضغط زوران زرا فى الجهاز ، فتحركت السيور المعدنية وانثنت ، وأصبحت أشبه بقفص معدنى يرقد العجوز فى داخله ، ثم هبط من فوقه قفص آخر من الزجاج .

ومال زوران فوق الجهاز يتفحصه ، ويستوثق من أن كل شىء على ما يرام .

ثم ضغط زرا آخرا فاذا بالقيود الحديدية تدور بمعصمى الرجل وبكاحليه ، وتنطبق عليها ، حتى أصبح مشدودا الى الاريكة لا يملك حراكا .

وضغط زرا ثالثا فانطبقت عليهسلوك وسيور أخرى والتصقت بجسده . وبدت أنفاسه متلاحقة منبهرة كأنه يوشك أن يختنق داخل هذا القفص الزجاجى .

وتساءلت جانى وهى تتأمل العجوز الذى يرقد بلا حراك :

ـ ترى الى متى يمكن أن يتحمل هذا السجن .. ؟

وأجابها زوران فى نبرة من الزهو والفخار :

ـ لا يشغلنك هذا يا فتاتى ، فذاك هو سرى .. وغدا سترين كيف يكون انتصارى .. والان هلم بنا .

وأخذ كرامر بذراع الفتاة وهو يقول :

ـ يحسن بك أن تعودى الى جناحك يا مس لويس.

فقالت معترضة :

ـ ولكن ..

ـ لا تعترضى .. غدا سيدعوك البروفيسور لترى النتيجة .

واذ خلت جانى الى القديس فى مسكنهما لبثا صامتين برهة من الوقت لا يتبادلان كلمة واحدة .

وفجأة انفلتت أعصاب الفتاة فطفقت تبكى بمرارة ،

وترامت على صدر رفيقها تستند راسها الى كتفيه وغمغمت :

ــ ياللفظاعة .. ! يالهذا الرجل المسكين .. ! ترى ما الذى سيحدث له .. ؟

وفجأة أيضا أمسكت عن البكاء ، ودرات بعينيها فيما حولها ، ثم قالت :

ــ من يدرى .. ! الا يجوز أن تكون فى هذا المسكن أجهزة استماع سرية مبثوثة خفية ، وانهم الآن يسترقون السمع الى كل كلمة ننطق بها .. ؟

فقال القديس وهو يهز كتفيه فى استخفاف وقال :

ــ وما أهمية ذلك .. ؟ اننا الان فى قبضة زوران ، ولا نملك من أمرنا شيئا .. انه يستطيع أن يفعل بنا ما يشاء .

وهمت بأن تقول شيئا ، ولكنه رماها بنظرة تحذير، يريد أن ينقل اليها رسالة خفية غير مسموعة ، وتلقت رسالته وفهمت معناها ، فأطبقت شفتيها ولم تتكلم.

وأخذ القديس بيدها ، وقادها الى الاريكة وأجلسها، واستوى بجانبها ، ثم ألصق شفتيه بأذنها وقال همسا:

ــ المهم أن نعرف ما يدور حولنا ، ورأيى الذى أومن به هو أن العم جارى استطاع أن يكشف أسرار هذه الظواهر ، أو على الاقل بعض اسرارها . ولاشك أن لسانه جرى علانية بما اكتشف ، وان تكلم بعبارات غامضة لانه لم يكن يعرف شيئا محددا على وجه اليقين .

فتساءلت جانى : أتعنى أنه تحدث عن الزومبى..؟

ــ تماما .. وتناثرت أقواله وبلغت مسامع زوران ، فارتاع خشية أن تنكشف أسراره . وهذه كما ترين ارض محرمة لا يستطيع مخلوق أن يجتاز عتبتها ، مما

يتيح لزوران أن يمارس تجاربه السرية امنا مطمئنا .
واستطرد القديس بنفس الصوت الخافت :
ــ ولم يكن لعمك الا هدف واحد هو أن يكتشف هذه الاسرار الخفية ، وأن يتسلل الى هذا الكهف . ومامن شك فى أن عمك التقى ببعض الرجال الذين فروا بمرحلة الشباب الابدى ، وتجاذب معهم الحديث ، وحاول أن يستدرجهم وكان من المحتمل جدا أن يهتدى الى نتيجة مرضية لولا أن وجد فى طريقه جبارا يسد الطريق .
ــ أتعنى زوران .. ؟
ــ طبعا .. ومن غيره .. ؟ ولم يكن أمام زوران الا أن يتأهب لمواجهة هذا الخطر المفاجىء ، فاستغل فى عمك ولعه باكتشاف آثار الاجناس البدائية ، فاستدرجه حتى أتيحت له فرصة .
وأمسك القديس لا يجسر على أن يتفوه بالكلمة الرهيبة فقالت جانى مفصحة عما يدور فى ذهنه :
ــ لكى يغتاله .. ؟
ــ تماما .. وأغلب ظنى أنه كانت لدى العم جارى معلومات تزيد عما أفضى به الينا . ولو أنه صارحنى بما يعرف لكفانى هذه المتاعب التى نعانيها اليوم .
وتساءلت جانى :
ــ وما الذى حمل زوران على البطش به .. ؟
ــ التجاؤه الى .. لقد عرف ان عمك تناول العشاء معى ، واننا كنا على موعد للسفر فى صبيحة اليوم التالى ، فساءه تدخلى ، وبادر الى قتل عمك ليأمن جانبى . أما الان وقد مات عمك فقد تحول زوران اليك .
فقالت : ــ وما مصلحته فى ذلك .. ؟

ـ هذه الابحاث تكلفه الكثير ... انها تحتاج مالا طائلا ، وكان زوران يمنى نفسه بأن يتخذ من العم جارى مصدرا لا ينضب لتمويل مشروعه .

ـ اذن فلماذا قتله .. ؟

ـ ألم أقل لك أن تدخلى أفزعه ، فأنت الان هدفه للحصول على المال ، فجاء بك هنا لكى « يقنعك » .

واتسعت عينا الفتاة دهشة ورعبا .

أما القديس فكان على النقيض هادئا مبتسما ، تنم عيناه على الثقة والاطمئنان .

كان يعرف خطاه ، وما ينبغى عليه أن يفعل .

همست الفتاة تسأله عن كيفية الخروج من هـذه المحنة ، وكان من رأيها أن يبادر القديس الى قتـل زوران ، وبذلك ينقذان أنفسهما من المأزق الذى تورطا فيه ، وينقذان رجال الزومبى من سيطرة هذا الشيطان المجنون .

وأجابها القديس بأن لديه خططا أخرى أجـدى وأسلم ، وان القتل ليس وسيلته الا اذا عزت الوسائل الاخرى وأخفقت .

ومازال القديس بها حتى زال خوفها ، وعاودتها الثقة ، ولاحت على شفتيها ابتسامة اطمئنان .

وقال لها :

ـ والان عليك أن تأخذى نفسك بالراحة . انك فى حاجة الى أن تنامى ، فان أمامنا أحداثا جساما ... وأغلب ظنى أن زوران سيوقظنا من النوم مبكرين لكى يرينا ثمرة عمله وانتصاراته .

وجاء كرامر فى الصباح يطرق عليهما الباب ، وكان فى رفقته الحارسان الزنجيان كواكو ودافى .

وقال كرامر :

ــ ان البروفيسور فى انتظارك يا قديس وكذلك أنت يا مس لويس .

وما أن رآهما زوران داخلين عليه حتى هتف وقد نفذ صبره :

ــ أخيرا جئتما .

وضغط بعض الازرار فى الالة الجهنمية التى تتوسط القاعة ليقطع التيار الكهربائى .

وكان جو الغرفة خانقا ، وقد ازدادت فيه نسبة الاوكسجين زيادة واضحة . وبدأت السيور المعدنية التى تدور حول القفص الزجاجى ترتفع وتتباعد ، ثم ارتفعت القبة الزجاجية نفسها، أما المريض فكان راقدا مكانه ، ولكن الشرائط المعدنية التى تشده الى المنضدة أخذت تتراخى وتنفك ، وانفتحت القيود الحديدية التى كانت تدور بمعصمى الرجل وساقيه .

وعقدت الدهشة لسان جانى ، وتطلعت الى الرجل بعينين محملقتين ، وهتفت أخيرا وهى تنكر ما ترى عيناها :

ــ مستحيل .. ! لا يمكن أن يكون هذا هو ..

ولكن زوران ابتدرها مقاطعا :

ــ بل هو نفسه .. ! هذا هو العجوز المتداعى الذى رأيته بالامس .. ! نعم .. انه هو بعينه .. ! ولكنه خلق خلقا جديدا .. لم يعد الان فى السبعين أو الثمانين من العمر .. لقد ارتد شابا لا تتجاوز سنه الثلاثين أو الاربعين .

ثم أردف زوران فى لهجة افتخار واضحة :

ــ والان هل فهمت يا عزيزتى جانى .. ؟ اليسوا على حق حين ينظرون الى نظرتهم الى اله .. !

فقال القديس فى صوت غامض النبرات ، لا تبين منه ان كان جادا أو هازلا :

ـ طبعا .. أنت الأب الكبير ..

ونظر اليه زوران نظرة تنم على الغضب .

ولكنه ما لبث أن ارتد الى مريضه ، فحلّ ما تبقى من قيوده ، ثم قال له :

ـ والان انهض يا فيديو .

وبدأ الجسد الهامد يتحـرك ويتململ ، واهتـزت اهداب الرجل ، وأخذ جفناه يختلجان ، وتحـركت شفتاه .

ثم اعتدل الرجل جالسا ، وانزلق عن المنضدة ، ووقف يجيل عينيه فى أرجاء المكان .

كانت عيناه خاليتين من أى تعبير .. مجـرد عينين تنظران ، ولكن ليست فيهما ذرة من الفهم او الذكاء .. كان يبدو وكأنه مخدر أو واقع تحت سيطرة قوة خفية غير منظورة .

ولم يرفع زوران بصره عنه لحظة واحدة ، كمـن ينفث سحرا فى عينى الرجل .

وقال زوران يسأل الرجل :

ـ والان يا فيديو .. ؟ هل أنت راض سعيد ..؟ ارأيت انك لم تعد الان الا رجلا فى عنفوان الشباب ..؟

وتحركت الشفتان الضخمتان المكتنزتان ، ولكن لم تصدر منهما الا أصوات مبهمة غير مفهومة .. مجـرد همهمة لا تزيد عن ترديده كلمة : أوهو .. أوهو ..

ثم ضحك الرجل ، وبعد لحظات بدأ على زوران انه تلقى طعنة لم يكن يتوقعها ، وغمغم يقول :

لا ... لا .. لم يكن هذا هو ما أريد .

والتفت اليه القديس قائلا :

ـ انك لا تبدو سعيدا يا بروفيسور .. هــل أخفقت التجربة .. ؟

فصاح البروفيسور فى انفعال يقول :

ـ كيف تقول هذا .. ؟ ألا ترى بنفسك ما هــو واقع تحت بصرك .. ؟ أتنــكر أن هذا الفتى الذى يفيض شبابا هو نفسه عجوز الامس الذى كان عــلى شفا الموت .. ؟

فقال القديس وعلى شفتيه بسمة ساخرة :

ـ وهل لكى يستعيد الشباب يجب أن يفقد الذكاء والقدرة على الفهم .. ؟ لو انه كان مخدرا لكان أصح عقلا من هذا .. من هذا الطفل الرضيع .

ومضت جانى تنقل بصرها بين زوران والقديس ، وهى لا تجسر على أن تفصح عما يدور بنفســها من اقتناعها بأنها كانت تجربة فاشلة .. نعم .. لم تكن لجانى جرأة القديس .

وقال البروفيســور وهو يرمى القــديس بنظــرة استخفاف :

ـ انك لعلى حق يا مستر تمبلار .. هذا هو ما يحدث فى كل مرة بعد عملية استعادة الشباب .. انهم يعودون أطفالا ، وزملاؤهم هم الذين يتــولون تعليمهم النطق والكلام .

فهتف سيمون فى لهجة مرحة :

ـ رائع .. ! رائع جدا .. ! فبعد ثلاثين ســنة يستطيعون اذن أن يستعيدوا موهبة النطق .. أى بعد أن يبلغوا سن الشيخوخة مرة أخرى ..

وهكذا تبدأ أنت من جديــد فى اجراء عمليــة اعادة الشباب ، وبذلك لا تفرغ أبدا ..! شيخوخة ثم شباب،

وبعدها شيخوخة يعقبها شباب ــ وهكذا باستمرار، كالعجلة التى تدور ولا تكف أبدا عن الدوران .. أليس هذا أمرا مزعجا يثير الاعصاب .. ؟

فصاح زوران وقد بدأ يفقد حلمه :

ــ كفى .. ! أصمت أيها الغبى .. ! الا تدرك أنهم رغم هذه الطفولة البادية عليهم ، فان أرواحهم ناضجة .. انهم يفهمون كل ايماءة من يدى وكل رمشة من عينى .. انهم ينفذون أوامرى دون تردد ، ويدركون فى الحال كل ما ابغى منهم .. وهذا حسبى فلست أريد الا هذا .. الطاعة العمياء المطلقة .

وكانت نظرات الرجل الذى استعاد شبابه مركزة على زوران ، وغمز هذا بعينه فاسرع الحراس يفتحون باب القاعة ، واندفع « العجوز الشاب » الى الخارج، وتلقاه رفاقه بهتافات دوية .

فقال زوران :

ــ أرجو أن تكون الان قد اقتنعت .

فقال القديس يتحداه فى عناد :

ــ بل اقتنعت انك فشلت مرة أخرى .. ما جدوى الشباب ان اقترن بطفولة العقل .. ؟

فصاح زوران :

ــ ان جهازى لا يخطىء أبدا ولا يفسد العقل ولا يقضى عليه .. كل ما هنالك أنه يصغر أنسجة الجسم والخلايا ويعود بها الى حالتها الاولى ، ويخضعها لتأثيراته وذبذبته .

ــ بما فى ذلك خلايا المخ طبعا ، أليس كذلك .. ؟ مما يؤدى الى هذه النتيجة المضحكة الفاشلة .. كن شجاعا واعترف بهذا على الاقل .

ـ انك لا تبدو سعيدا يا بروفيسور .. هـل أخفقت التجربة .. ؟

فصاح البروفيسور فى انفعال يقول :

ـ كيف تقول هذا .. ؟ ألا ترى بنفسك ما هـو واقع تحت بصرك .. ؟ أتنكر أن هذا الفتى الذى يفيض شبابا هو نفسه عجوز الامس الذى كان عـلى شفا الموت .. ؟

فقال القديس وعلى شفتيه بسمة ساخرة :

ـ وهل لكى يستعيد الشباب يجب أن يفقد الذكاء والقدرة على الفهم .. ؟ لو انه كان مخدرا لكان أصح عقلا من هذا .. من هذا الطفل الرضيع .

ومضت جانى تنقل بصرها بين زوران والقديس ، وهى لا تجسر على أن تفصح عما يدور بنفسـها من اقتناعها بأنها كانت تجربة فاشلة .. نعم .. لم تكن لجانى جراة القديس .

وقال البروفيسـور وهو يرمى القـديس بنظـرة استخفاف :

ـ انك لعلى حق يا مستر تمبلار .. هذا هو ما يحدث فى كل مرة بعد عملية استعادة الشباب .. انهم يعودون أطفالا ، وزملاؤهم هم الذين يتـولون تعليمهم النطق والكلام .

فهتف سيمون فى لهجة مرحة :

ـ رائع .. ! رائع جدا .. ! فبعد ثلاثين سـنة يستطيعون اذن أن يستعيدوا موهبة النطق .. أى بعد أن يبلغوا سن الشيخوخة مرة أخرى ..

وهكذا تبدأ أنت من جديـد فى اجراء عمليـة اعادة الشباب ، وبذلك لا تفرغ أبدا ..! شيخوخة ثم شباب ،

وبعدها شيخوخة يعقبها شباب ــ وهكذا باستمرار، كالعجلة التى تدور ولا تكف أبدا عن الدوران .. اليس هذا أمرا مزعجا يثير الاعصاب .. ؟

فصاح زوران وقد بدأ يفقد حلمه :

ــ كفى .. ! أصمت أيها الغبى .. ! الا تدرك أنهم رغم هذه الطفولة البادية عليهم ، فان أرواحهم ناضجة .. انهم يفهمون كل ايماءة من يدى وكل رمشة من عينى .. انهم ينفذون أوامرى دون تردد ، ويدركون فى الحال كل ما ابغى منهم .. وهذا حسبى فلست أريد الا هذا .. الطاعة العمياء المطلقة .

وكانت نظرات الرجل الذى استعاد شبابه مركزة على زوران ، وغمز هذا بعينه فاسرع الحراس يفتحون باب القاعة ، واندفع « العجوز الشاب » الى الخارج، وتلقاه رفاقه بهتافات دوية .

فقال زوران :

ــ أرجو أن تكون الان قد اقتنعت .

فقال القديس يتحداه فى عناد :

ــ بل اقتنعت انك فشلت مرة أخرى .. ما جدوى الشباب ان اقترن بطفولة العقل .. ؟

فصاح زوران :

ــ ان جهازى لا يخطىء أبدا ولا يفسد العقل ولا يقضى عليه .. كل ما هنالك أنه يصغر أنسجة الجسم والخلايا ويعود بها الى حالتها الاولى ، ويخضعها لتأثيراته وذبذبته .

ــ بما فى ذلك خلايا المخ طبعا ، أليس كذلك .. ؟ مما يؤدى الى هذه النتيجة المضحكة الفاشلة .. كن شجاعا واعترف بهذا على الاقل .

فهز زوران كتفيه فى استخفاف وقال :

ــ ولم لا .. ؟ حتى اليوم لم يصل أحد الى التحكم فى الخلايا المخية ، أما أنا فقد استطعت أن أسيطر عليها . وفى يوم ما لابد أن تعود من تلقاء نفسها الى وضعها الاول فتؤدى وظيفتها المعهودة .

ــ أما الان فهم مجرد أطفال يا بروفيسور ، أما أنت فلست عالما ، وانما مجرد مربية ودادة ، فاذهب اليهم فانهم فى انتظارك لتروى لهم قصص العفاريت والاشباح .

ــ اصمت .. انى امنعك من ترديد هذا الهراء .. انى لا أسمح ابدا لاحد بأن يسخر منى .

وضحك البروفيسور ضحكة فيها لمسة من الجنون وقال :

ــ غدا سأجعل الناس جميعا مجرد أطفال من هذا الطراز .. مجرد عبيد أرقاء .. رجال لهم عقول أطفال ، وعندها سوف أحكم العالم دون أن أجد من يعارضنى .

ــ اذن فسوف تكون ملكا على شعب من البلهاء .

فقال زوران :

ــ وما الذى يجعلك تقول هذا .. ؟ اننى دائب على تحسين الجهاز وادخال بعض التعديلات عليه . ولابد أن أصل الى نتيجة مرضية .

ثم أردف زوران وقد جلجلت ضحكته الجنونية فى أركان الكهف :

ــ لم يخطر لك يا مستر تمبلار السبب فى دعوتى لك الى الحضور الى كهفى .. ؟

فهز القديس رأسه نفيا وأجاب :.

ــ الحق اننى لست أدرى ، ولكن لعلك دعوتنى لاسليك بأن أسرد عليك مغامراتى .

ــ كلا .. يا مستر تمبلار .. انك رجل شهــد لك العالم بالذكاء الخارق ، الذى لا يبارى ، ولهذا جئت بك الى الكهف لكى .. لكى أجرى بعض التجارب على مخك الفذ العجيب . أما أنت يا أنستى فانى فى حاجة الى أموالك لأنفق منها على تجاربى .

فقالت جانى :

ــ اذن فأنت تطلب فدية ، فاعلم اذن ان لا أحد يهتم بى بعد موت عمى ، ولن تجد من يدفع لك مالا لــكى تفتــدينى ..

وجز القديس على أسنانه ، وتقدم خطوة منزوران، وجمع قبضته يهم بأن يسدد لكمة الى فكه .

وصرخ زوران مستنجدا :

ــ كرامر .. !

وهب كرامر الى نجدته وهو يقول :

ــ انى آسف يا قديس .

وأرخى القديس ذراعه وهو يقول :

ــ وما الداعى الى النضال .. ! انك سوف تكسب الجولة على أية حال مادام وراءك ستة من الحراس ،

وقال زوران وفى نبرته لمسة انتصار :

ــ خذهما يا كرامر ، ومن الافضل أن تحبس كلا منهما وحده على انفراد .

الفصل العاشر

أمضت جانى نهارا شاقا حافلا بالهواجس ، وحاولت أن تفكر فى هدوء ومنطق ، ولكن الخواطر تزاحمت فى راسها ، وأعياها أن تقع علىالرأى السليم.

انها لم تكن من طراز تمبلار الذى اعتاد أن يواجه الاخطار هازئا غير مكترث ، وأن يرمى بنفسه فى المهالك جذلا سعيدا ، تفيض نفسه جرأة وشجاعة .

وحين أوشك النهار أن ينصرم جاءها اثنان من الحراس يدعوانها الى مقابلة الاب الكبير ، بعد آن أمضت ست ساعات سجينة حبيسة لا تتصل بانسان.

وأومأ زوران الى أحد المقاعد ، وما أن استوت عليه حتى فتح الباب من جديد ودخل القديس يحف به اثنان من الحراس .

وهمت الفتاة بأن تهرع اليه وترتمى على صدره ، لولا أن أمسك بها الحراس وردوها الى مقعدها .

وقال زوران فى صوت هادىء النبرات :

— لا فائدة يا جانى من محاولاتك .. لقد أصدرت أوامرى الى « أولادى » ، وانت تعلمين انهم يطيعوننى طاعة عمياء .

وتطلع اليها القديس وابتسم ، وكانت لنفس الابتسامة المرحة الساخرة ، وفى هذه اللحظة أدهشتها ابتسامته وأثارت عجبها .

كيف يملك — فى مثل هذه الظروف — أن يبتسم..!

والتفت القديس الى زوران قائلا :

— ان لدى شكوى أرفعها الى الاب الكبير المقدس

... « أولادك » جاءونى بالشاى باردا .

فقال زوران :

ــ لك الان أن تتندر بدعاباتك كما تشاء ، فقد تجد نفسك بعد لحظات مضطرا الى أن تذرف العبرات .

وتحول زوران الى كرامر الذى كان منزويا فى أحد الاركان وقال له :

ــ يمكنك أن تنصرف فلا حاجة تدعو الى بقائك.. اذهب الى طائرتك وافحصها ، واملا خزانها بالبنزين.

وهم الطيار بأن يقول شيئا ، ولكنه مالبث أن أطبق شفتيه وغادر القاعة صامتا .

وقال القديس يخاطب زوران :

ــ شكرا لك .

فتساءل الرجل :

ــ وعلام الشكر .. ؟

ــ على أن أمرت باعداد الطائرة لتعيدنا الى المدينة.

فضحك البروفيسور لهذه الدعابة ، وتراخى فى مقعده وهو يتأمل سجينيه ، ثم قال :

ــ ان مغادرتكما كهف جوفينشيا الهة الشباب الابدى انما يتوقف عليكما انتما الاثنان .

ثم التفت الى جانى قائلا :

ــ لقد فكرت طويلا يا عزيزتى جانى فيما قلته لى صباح اليوم من لا أحد يهتم بك الان بعد موت عمك أو يحاول أن يفديك بالمال .

فقاطعته :

ــ موته قتيلا بيديك .

فقال : ــ الا تعلمين يا فتاتى أن هذا الاتهام يعد قذفا وتشهيرا من شأنه مضاعفة الفدية التى أطالب بها .

ثم تحول الى سيمون تمبلار قائلا :
— والان اعرنى سمعك يا قديس .. ان لك تاريخا قديما حافلا ، ولطالما انتصرت وهزمت اعداءك ، أما اليــوم فالموقف مختلف تمــاما .. فابتعـــد عن طريقى ، ولا تتدخل فى شئونى فانك اليو تواجـــه خصما لا ينهزم ولا يرحم .. ان الفدية التى أطالب بها جانى مقابل الافراج عنها من شأنها وحدها ، وهى وحدها التى ستقوم بدفعها .. هل هذا واضـــح يا عزيزتى جانى .. ؟
وتطلعت اليه الفتاة بنظرة تفيض يأسا فقال لها
— وفرى على نفسك يا عزيزتى الدموع والبكاء ونظرات الخـــوف .. ثم دعك من العنـــاد ، فان فى استطاعتى أن أفرض عليك ارادتى ، وأن ارغمك على أن تنصاعى لمـــا آمر به .
وفتح درجا فى مكتبه تناول منه صندوقا صغيرا فتحه فانكشف عن حقنة بجانبها بعض الانابيب وقال :
— حسبك حقنة واحدة من هذه لتصبحى أشـــد طاعة لى من « أولادى » الاعزاء .
وأومأ بيده الى حراسه الواقفين عن كثب .
واستطرد زوران يقول بنفس الصوت المتوعد :
— ومع ذلك فانى أوثر يا عزيزتى جانى أن تنصاعى الى ما أطلب طواعية واختيارا ..
فصاحت الفتاة فى عناد :
— مستحيل ..! مستحيل ..!
— كل ما أبغيه منك هو أن تذيلى بتوقيعك بعض الاوراق ، وعندما يدفع البنـــك المبلغ ســـينتهى كل شىء .. اليس الامر بســـيطا .. ؟ بامتلاكك منجـــم ماتاكورى فان تحت يدك ثروة طائلة ، فهل تبخلين

على صديق حميم لعمك بما هو فى حاجة اليه لمواصلة أبحاثه .. ؟

فقالت جانى فى نبرة تنبض بالغضب :

ــ انى أمنعك من أن تدنس اسم الرجل الــذى قتلته بأن تتفوه به .

ــ انك واهمة ، فلم تكن لى مصلحة فى قتــــل عمك ، فقد كان متفقا معى على تمويل مشروعى ، فما الذى يدعونى الى قتله .. ؟

واستطرد زوران :

ــ ولكن لويس كان فضوليا أكثر مما ينبغى .. لقد التقى فى الادغال ببعــض « أولادى » ، فحــاول أن يستدرجهم الى الحديث ، وأن يظفر بثقتهم ، وهــذا شىء لا أقره ولا أرضاه ، لانه لا يتفق مع المصلحة المشتركة .. أرأيت يا مستر تمبلار أننى رجلا لا أحب الفضول ولا الفضوليين .. ؟

ولاول مرة تكلم القديس ، وكان صوته باردا كأنه حد السيف . قال :

ــ اذا حاولت أن تمس شعرة فى رأس جانى فأعلم اننى سأسلخ جلدك وأصنع منه حقيبة أضع فيهــا جثتك ..

فغمغم زوران :

ــ يا للمسكين المغرور ..

وقالت جانى : انك تحاول أن تقنعنى بأنّ لا يــد لك فى مصرع عمى ، فمن اذن الذى قتله .. ؟

فأجاب : ان كرامر هو الاولى بالاجابة على هــذا السؤال .. لقد أصدرت تعليمات بعمل شىء يثير فزع لويس حتى الجم لسانه وأجبره على الكتمان .

ــ ولكنك ألجمت لسانه الى الابد .

ــ كانت هذه مجرد غلطة .. غلطة يؤسف لها .
ــ أهكذا بمثل هذه البساطة تبرر الجريمة .. ؟
ــ لقد أمرت أعوانى أن يستدرجوه الى خارج نيويورك ، وأن يسددوا اليه بعض اللكمات ، وان يخلوا سبيله بعد ذلك ، ولكنهم بالغوا فى الامر وقتلوه .
وقال سيمون : انك لست عالما ، بل أنت رجل معتوه .. انك تتخذ من العلم ذريعة لكى ترتكب جرائمك البشعة .. انك ..
وصرخ زوران فى حراسه فى غضب :
ــ اسكتوه .. ! اسكتوه .. !
وانقض عليه الحراس ، ولووا ذراعيه وراء ظهره حتى كادت عظامه أن تتهشم ، ولكنه لم يتأوه ولم يتوجع وان كان قد كف عن الكلام .
وقال زوران : حسنا .. والان لا ترغمنى على أن اتخذ اجراء أشد .
ثم التفت الى جانى قائلا :
ــ ان الامر بينى وبينك وحدنا ، وليس لمخلوق أن يحشر نفسه بيننا .. فهل أنت على استعداد .. ؟
فتساءلت : على استعداد لاى شىء .. ؟
ــ للتوقيع على خطاب الى البنك يتضمن تفويضا شاملا .
فقالت : مستحيل .. ! مستحيل مهما كان الثمن .
ــ هذا شىء يؤسف له .
وبايماءة من يده انقض الحارسان على جانى ، وأمسكا بذراعيها وهى تحاول أن تقاومهما وتتملص منهما ، ولكن بلا جدوى ، اذ كانت فى قبضتيهما أشبه بطفل لا حول له ولا قوة .

وقالت : ـ الى أين يذهبان بى .. ؟
فاجاب زوران : الى معبد الشباب الابدى يا عزيزتى .
فعادت تتساءل : ـ وما الذى تنوى أن تصنع بى .. ؟
ـ سأجرى عليك تجربة صغيرة .. نفس التجربة ..وبذلك تفقدين القدرة على التفكير وتخضعين لى خضوعا تاما .
كان القديس يرقب هذا المشهد صامتا ، دون أن تختلج له عين أو يهتز رمش .. انه رجل لا يتحرك الا أن تحين اللحظة المناسبة .
ولم تجد جانى مفرا من الاذعان .
قالت : ـ لا .. لا .. أتوسل اليك أن لا تفعل بى هذا .. انى على استعداد لان أوقع ما تشاء .
وجلست جانى الى مكتب زوران ، وبيد مرتعدة كتبت ما أملاه عليها .
وقال لها : ـ والان وقعى .. ضعى امضاءك هنا .. وارجوك أن لا تعمدى الى الغش والخداع .. لا تحاولى أن تغيرى من شكل توقيعك المعروف لدى البنك .. انك ان فعلت هذا فسوف تخاطرين بنفسك، أما أنا فلن أخسر شيئا .
ومهرت التفويض بتوقيعها ، وقدمت اليه الخطاب .
والتفت زوران الى القديس وقال يخاطبه :
ـ انك شاهد على اننى لم أكره مس لويس على توقيع التفويض ، ولم أستعمل معها العنف .. انك سمعتها تخطر البنك بأنها مسافرة فى رحلة طويلة قد تستغرق شهورا ، وانها تطلب فى الحال ٢٥ ألف

دولار ، وبعد بيع السندات تريد أيضا مائة ألف دولار .

وقال القديس : — وأنت تملى عليها التفويض سمعتك تذكر فيه اسم مندوب فى بيونس أيرس ، فهل هذا المندوب شريك فى الجريمة .. ؟

فقال زوران : — شريك فى الجريمة .. ! يا لها من كلمة بشعة يا مستر تمبلار .. ! ان السنيور ريكاردو فلور صديق لى ويثق بى ثقة عمياء .

والتفت زوران الى الحراس قائلا :

— اذهبا بهما الى غرفهما ، وامنعا أى اتصال بينهما .

وحين بلغ القديس الباب استدار الى زوران قائلا:

— اننى مصاب بأرق شديد ، فهل لديك منوم يجلب الى عينى النعاس .. ؟

ففتح زوران درج مكتبه ، وأخرج منه انبوبة صغيرة ناولها القديس وهو يقول :

— قرص واحد كفيل بأن لا يجعلك تصحو الا فى الصباح .

الفصل الحادى عشر

صحا القديس من نومه نشطا متفجر الحيوية ، فتمدد على الاريكة بلا حراك وقد استغرقه التفكير ، يستعيد الى ذهنه أحداث هذه المغامرة العجيبة ، وكيف السبيل الى النجاة .

ان من المغالاة أن يقول انه سيقتل زوران ، ولكن الامر الذى لا شك فيه أنه قدير على أن يهزمه هزيمة منكرة .

وحين مضى الى قاعة الطعام ليتناول فطوره كانت جانى قد سبقته اليها ، فأقبل عليها يقول :

ــ تشجعى يا جانى .. أرجو أن تكونى قد نمت جيدا .. ؟

فأومأت برأسها وهى تنهد تنهدة عن صدرها وقالت :

ــ كلا .. لقد أمضيت ليلتى أرقة لا يغمض لى جفن .

ثم أردفت : ــ انى أعرف ما تفكر فيه .. انك تقول انه كان ينبغى أن أتناول قرصا منوما ، ولكننى لم أجسر .

وغمزت بعينها توحى اليه بما يدور فى راسها حتى لا تتفوه بكلمات قد تنقلها الجدران الى آذان البروفيسور ، فقد كانت تخشى أن تكون الاقراص المنومة التى يقدمها زوران محتوية على مادة كيماوية تذهب بالارادة والقدرة على التفكير .

وقال لها القديس : ــ انك مخطئة فى ظنونك يا جانى ، فانفضى عنك هذه الوساوس .. ان صديقنا زوران حريص على راحة ضيوفه ، ولا يخطر بباله ابدا أن يؤذيهم .

ثم أردف ضاحكا :

ــ حسبه متعة أن يؤذى محافظهم وجيوبهم .. !

واتخذت جانى مقعدها الى المائدة ، وكان الزنجيان كواكو ودافى هما اللذان يشرفان على تقديم الطعام كالمعتاد .

وقال لها تمبلار : ــ ارجو يا جانى أن لا تكونى قد حاولت خداع البروفيسور .. أليس توقيعك على التفويض سليما غير محرف .. ؟

فقالت : لقد خطرت لى الفكرة فعلا ، ولكنى احجمت خشية أن ينتقم منا .. ؟

فقال القديس : أحسنت اذ عاملته بشرف وأمانة .

وأقبل القديس على الفطور يلتهم الطعام بشهية عجيبة ، فى حين قنعت جانى من فطورها بقدح من الشاى وقطعة من التوست .

وتنهدت جانى وقالت وهى شاردة واجمة النظرات:

— ترى هل ينوى البروفيسور أن يفرج عنا ، أم أنه يعتزم ابقاءنا سجينين لديه .. ؟ والى متى .. ؟ أياما .. ؟ أم شهورا .. ؟ أم سنوات .. ؟ لقد أمضيت ليلتى وهذا السؤال يتردد فى ذهنى .

وقال لها القديس ضاحكا فى استخفاف :

— وما الذى يضيرنا ان عشنا فى ضيافته مدى الحياة .. ؟ أليست الحياة هنا فى باطن الارض أجمل منها على سطح الارض .. ؟

وعادت جانى تتساءل : — ترى ما الذى فعله بالتفويض الذى قدمته اليه .. ؟

— لقد عهد به الى كرامر ، وطار به هذا الى هافانا ، ومن هناك يتم اتصال رسمى مع البنك الذى تتعاملين معه فى الكشف حيث يتم التنفيذ .. وانى لارجو أن ينتهى الامر عاجلا حتى نتبين حقيقة موقفنا .

وعلا من ورائهما صوت يقول :

— انه ليروقنى منك يا مستر تمبلار أن تكون حكيما متعقلا .

كان المتكلم هو زوران ، فقد دلف فى هذه اللحظة دون أن يسمعا وقع خطاه .

وتطلع القديس الى زوران .. كان هذا مرتديا بذلة

من القطيفة الحمراء ، وكانت على وجهه سمات شيطانية .

وقال القديس ضاحكا : — انك لتذكرنى بالشيطان وانت فى هذا الثوب العجيب .. انت الان الشيطان بعينه .

وتقدم زوران خطوة الى الامام وعيناه تتقدان شرا، ولكنه ما لبث أن استعاد زمام أعصابه وكظم ما بنفسه.

وقال له القديس : — وبهذه المناسبة أما كان أولى بك أن تجرى على نفسك تجربة استعادة الشباب ..؟ أن وجهك المغضن الملىء بالتجاعيد كفيل بأن يثير الغثيان .

فقال زوران فى هدوء : — وهل يروقنى أن أعود شابا ولكن بغير عقل متجردا عن القدرة على التفكير .. ؟ انى لاوثر الشيخوخة مع الحكمة على الشباب مع البلاهة .

فقال القديس هازئا :

— وهل تحسب حقا انك رجل حكيم .. ؟ ان لك عقلا لا يفترق عن عقول « أطفالك » .. !

وقالت جانى تسأل البروفيسور فى اهتمام :

— أحقا بعثت بالتفويض الى هافانا كما يقول مستر تمبلار .. ؟

— وهل يخامرك شك فى هذا .. ؟ لقد طار به كرامر بالامس الى المدينة ، ولست أدرى متى يعود على وجه اليقين .. ربما عاد بعد ظهر اليوم ، أو ربما غدا .. بل من يدرى .. انه قد يعود بعد غد .

— وهل نظل سجينين حتى يعود .. ؟

ـ وهل ينقصك شيء فى سجنك .. ؟ أنه مزود بكلّ أسباب الراحة والرفاهية .

فقالت جانى ساخطة :

ـ انه لا يعدو أن يكون سجنا ، والسجن بغيض على أية حال .

وخلال هذا الحديث كان القديس مقبلا على الطعام، كأنما الامر لا يعنيه ، وكأنما تطيب له الحيـــاة فى هذا الكهف .

وقال لها زوران :

ـ أولى بك أن تفعلى كما يفعل القديس .. الا ترين كيف يأكل ويستمتع دون أن يبالى بالسجن .. ومع ذلك فان لكما أن تعودا الى جناحكما الســـابق حيث تطيب لكما الاقامة .

وربت زوران على ذراع جانى فى لطف ، فارتعدت للمس أنامله . وقال لها :

ـ ولكما ايضا أن تجوسا خلال الكهف كماتشاءان، وان تتحدثا الى من تريدان .. لكما أن تتجولا فى أى مكان ، ولكن تحت الرقابة طبعا .. الشيء الوحيـــد المحظور عليكما هو محاولة مغادرة الكهف .. واعلمى ياعزيزتى جانى أن الباب المفضى الى الغابة مصفح ، وانه مزود بتيار كهربائى قوى يصرع من يلمسه .

فقال القديس : ـ شكرا على هذا التحذير .

وغادر زوران القاعة ، وتحول القديس الى جانى قائلا :

ـ هيا بنا نتفرج على الكهف حتى تنفضى عن نفسك هذه الخواطر السوداء التى تغزو رأسك .

وقالت له جانى :

ـــ ليتنى استمعت الى نصحك يا سيمون حـــين أشرت على بأن أعدل عن هذه المغامرة .

فقال لها القديس :

ـــ وما جدوى الندم الآن .. ؟ ومع ذلك الا ترين أن طريق الخلاص أصبح ميسرا قريبا .. ؟

فتأملته جانى بنظرة فاحصة وتساءلت :

ـــ ما الذى تعنى .. ؟ ما الذى تنوى ..

فهمس فى صوت خافت حتى لايبلغ اذن كواكو الذى كان واقفا على كثب من مائدة الطعام .

ـــ سنهرب.. طبعا سنهرب.. وقد رسمت خطتى.

فقالت مشدوهة :

ـــ وهل تستطيع .. ؟

فأجاب ضاحكا :

ـــ وهل عجز القديس يوما عن الخـــلاص .. ؟ أحسبت أن الابواب المدرعة والتيارات الكهربائية يمكن أن تقوم عقبة فى سبيله تحول دونه والفرار .

وأخذ بذراعها ومشى بها نحو الباب وهو يقول :

ـــ الآن سنتسلى بمشاهدة الكهف ، ثم أننى شـــديد الرغبة فى مشاهدة متحف البروفيسور مرة أخـــرى وما فيـــه من تحف رائعة .

ومشيا يتجولان فى ارجاء الكهف ، وكواكو فى أعقابهما وعينه عليهما يرقبهما فى حرص وحذر .

أخذا ينتقلان من ركن الى ركن ، ومن غـــرفة الى غرفة ، حتى انتهيا الى قرية الاكواخ التى يســـكنها العبيد الارقاء . وكانوا جلوسا عند مداخل أكواخهم صامتين ، مرتسمة على وجوههم امارات البلاهة .

وقالت جانى : ـــ ان مرآهم يبث الذعر فى نفسى .

فقال لها : ـ بل انهم قوم مسالمون .

وكان كواكو يسير وراءهما خطوة بخطوة ، وعينه لا تغفل عنهم لحظة واحدة .

وانتهت بهم المسيرة الى أقصى الطرقة حيث يقوم الباب المفضى الى الادغال .

وقالت جانى : ـ حذار أن تلمسه فانه مكهرب .

فأجابها ضاحكا :

ـ وهل يمكن أن أنسى هذا .. ؟

ثم همس فى أذنها بصوت لا يسمعه كواكو :

ـ ان زوران رجل ثرثار ، وكل كلمة ينطق بها تزودنى بمعلومات قيمة أحتاج اليها فى تدبير خطة الفرار .

ـ ماذا تعنى . ؟ انى غير فاهمة .. ؟

ـ قال ان الباب مكهرب .. وقال ان كرامر طار الى هافانا وانه سيعود ـ فكيف يمكن أن يدخل .. ؟ لابد اذن من قطع التيار عن الباب ، وفى هذه اللحظة بالذات أنوى أن أخرج من الباب .

فتطلعت جانى الى القديس وتساءلت :

ـ ولكن كيف تتخلص من هذا الحارس كواكو .. ؟

فضحك القديس قائلا :

ـ ولم أتخلص منه الان .. ؟ اننى على العكس فى حاجة اليه .. بل اننى أتمنى أن ينضم اليه زميله دافى .

ولم تعقب جانى بأى سؤال آخر اذ بدا على القديس انه لا ينوى أن يزيدها ايضاحا .

وأخذ القديس بذراعها وهو يقول :

ـ والان الا ترين أنه يحسن بنا أن نزور صديقنا البروفيسور فقد نستفيد من ثرثرته معلومات جديدة .

كان زوران جالسا فى مكتبه ، فتلقاهما بابتسامة خفيفة وهو يقول :

ــ والان .. هل تأكدت يا مستر تمبلار أن لا سبيل لك مطلقا الى الفرار من الكهف .. ؟

فتأمل القديس غريمة بنظرة طويلة ثم أجاب :

ــ صدقت .. ! انه حصن لا يمكن اقتحامه او التسلل منه . ولا مهرب من الاستسلام والاذعان .

ــ هذا هو صوت الحكمة والعقل .

وتوجهت جانى بالسؤال الخطير الذى أوصاها بأن تثيره .

قالت : ــ أما من أنباء جديدة .. ؟

ــ عن عودة كرامر .. ؟

ــ طبعا .. فانى متلهفة الى اطلاق سراحنا .

ــ انه وشيك بأن يعود .. ما بين ساعة وأخرى .

وأشار الى جهاز مثبت فوق الجدار وهو يقول :

ــ هذا جهاز لاسلكى أتلقى عن طريقه الرسائل التى يصدرها كرامر من طائرته ، وحتى الان لم أتلق اى نبأ .

وفجأة صدر أزيز خافت من الجهاز اللاسلكى ، وارتفع صوت كرامر يقول :

ــ هنا كرامر .. سأهبط فى المطار فى تمام الساعة ١٣ وثلاثين دقيقة .

فهتفت جانى :

ــ هذا هو صوته .. ترى هل نجح فى مهمته .. ؟ متى تطلق سراحنا اذن .. ؟

فأجابها زوران :

ــ لا تتعجلى يا فتاتى .. كل شىء رهين بأوانه .

وأخذ القديس بذراعها وهو يقول :

ـــ ليس لدينا ما نفعله هنا ، فهيا بنا نتفرج على متحف البروفيسور فان لديه تحفا رائعة لا مثيل لها.
وقال زوران مزهوا فخورا :
ـــ استمتعا بوقتكما كيف شئتما . أما أنا فذاهب الى ملاقاة كرامر فى المطار ، وبعدها آتيكما بآخر الانباء .
وغادر القديس وجانى الغرفة ذاهبين الى المتحف، وتواكو فى أعقابهما وقد انضم اليه زميله دافى .
كان القديس متأبطا ذراع جانى وهما يتجولان فى أرجاء المتحف ، ولذلك استطاع أن يهمس فى صوت لم يسمعه الحارسان :
ـــ بعد خمس عشرة دقيقة سيهبط صاحبنا كرامر فى المطار ، فهل تحبين يا جانى أن تكونى فى استقباله ..؟
فتطلعت جانى الى القديس فى دهشة وقالت :
ـــ أتراك تمزح .. ؟
وتناول القديس من فوق احدى الطاولات تمثالا صغيرا من النحاس جعل يفحصه بعناية ، ويقلبه فى يده ، ثم قال :
ـــ انه تمثال رائع .. وثقيل الوزن .. ولحسن الحظ يوجد منه زوجان متماثلان .
ثم أردف فى صوت أشد خفوتا :
ـــ ضربة على الرأس بهذا التمثال كفيلة باصابة المرء بالاغماء ، اليس كذلك .. ؟
وغمز القديس بعينه ، وغمزت جانى ، فقد تلقت رسالته الخفية ووعتها .
ثم رأته يدس التمثالين فى جيبه دون أن يلحظ الحارسان ما فعل .
وتمشيا لحظات فى أرجاء المتحف ، وفجأة قال

القديس :

ــ أظن أن الوقت قد حان لكى نجرب التمثالين .

واستدار مع جانى راجعين ، وفى رجوعهما اقتربا من الحارسين اللذين كانا يسيران وراءهما .

وقال القديس :

ــ انظرى .. ما أجمل هذا التمثال .

وبحركة سريعة أخرج التمثالين من جيبه ، احتفظ بأحدهما ، ودفع بالثانى الى يد جانى .

وبنفس الحركة السريعة ارتفعت يده وهوى بالتمثال على رأس كواكو ، فترنح وهوى الى الارض غائبا عن الوعى .

وأسرع دافى الى نجــدة زميله ، لكى ينقض على القديس .

وفى طريقه الى القديس تلقته جانى على صدغه بلطمة عنيفة من التمثال الثانى ، فتعثرت خطاه وكاد ان ينكفىء على وجهه ، وعاجله القديس بضربة اخرى جعلته يرقد الى جانب زميله ينعم بنوم هنىء .

وأسرع القديس فخلع عن كواكو الدرع الذى يلبسه والقناع الذى يغطى وجهه ، وبدأ يلبسهما .

وتساءلت جانى فى دهشة :

ــ ما هذا الذى تفعل .. ؟ أتنوى أن تحل محله ..؟ انك لن تستطيع أن تخدع زوران .

فقال لها القديس :

ــ نفذى ما أقول يا جانى .. ان لكل دقيقة ثمنها.. خذى سدادة أحدى هذه الزجاجات واشعليها بولاعتى.

وفعلت كما قال ، ولم تمض لحظات حتى كان القديس قد ارتدى بذلة العبد كواكو ، وأرخى القناع عــلى وجهه ، فلم تعد تبين منه الا عيناه .

وكانت جانى قد اشعلت السدادة الفلـــين بولاعة القديس ، ثم أطفأتها ، فتناولها منها ، ومضي يدهن يديه وعنقه « بالهباب » المتخلف عن السدادة ليخفى بياضهما ، وليكسبها لونا مسودا .

وقالت جانى :

ــ هذا جنون يا سيمون .. ان تنكرك لن يخفى على زوران .. انك لا تشبه كواكو فى شيء .. حتى قوامك مختلف عنه .

فقــــال :

ــ أعرف ذلك ، ولكننى أعتمد على عنصر المفاجأة .

ثم أردف: ــ ان ما أريده منك هو هذا: انك ستجرين امامى ، كأنك تحاولين الهرب ، وأنا أتبعك راكضــا كأنما أريد أن أمسك بك باعتبارى كواكو .. هذا مهم جدا .. انت تتظاهرين بالفرار ، وأنا أتظاهر بأننى أحاول اللحاق بك ، وخلال هذه المطاردة المثيرة لن يحاول أحد أن يقارن بينى وبين كواكو .. وتســـتمر المطاردة حتى نصل الى الباب المؤدى الى الادغال . وفى نفس اللحظة التى يفتح فيها الباب لكى يدخــل منه زوران وكرامر ننطلق نحن الى الخارج .. هل فهمت دورك .. ؟

فأومأت أن نعم ، فناولها التمثال وهو يقول :

ــ واحتفظى بهذا معك .

ــ ولاى سبب .. ؟ ما نفعه عندى .. ؟

ــ لكى تستعمليه عند الحاجة .

فتساءلت :

ــ ضد من .. ؟

وأجاب : ــ ضد كل من يحاول أن يعترض طريقك ، سواء كان اسمه زوران أو كرامر .

وغمغمت جانى فى حماس :
ـــ لك أن تعتمد على يا قديس .

الفصل الثانى عشر

عند أسفل الدرج المؤدى الى باب الكهف الذىيفضى الى الادغال ربض القديس وجانى منزويين، وأبصارهما معلقة بالباب المدرع المكهرب ، يترقبان وينتظران .

وأخذت الدقائق تمر وتتتابع ، وبدت فى نظر جانى بطيئة متمهلة ، وكان الصبر يعذبها ويرهق أعصابها ، وجعلت تتنفس فى صعوبة كأنما فوق صدرها عبء ترزح تحته . وتبدت لها المغامرة التى هى مقدمة عليها حافلة بالحماقة والتهور .

باب مصفح ، والواحه المعدنية مزودة بتيار كهربائى صاعق ، وحراس مسلحون لا يعرفون الا الطـــاعة العمياء وتنفيذ الاوامر فى عنف وفى غير تردد فكيف بعد هذا يتسنى لها الفرار .

وبدأت تخامرها الوساوس ، وخطر لها أن ترتد الى مخدعها مذعنة مستسلمة .

وفجأة انطبقت على ذراعها قبضة حديدية .. انها قبضة القديس ينبهها الى أن الساعة الحرجة قد دنت.

وهمس وفمه لصق أذنها :
ـــ انتبهى واستعدى .

وهناك فى أعلى الدرج أضاء قرص معدنى بنـــور أحمر يتوهج ، ألقى بضوئه القانى على ممشى الكهف. ودار الباب على محوره ، وبدأ ينفتح رويدا رويدا . ومن الخارج انبعث ضوء آخر ، وتبدى شبح زوران يسير فى المقدمة .

ولمس القديس ذراع الفتاة مرة أخرى وهمس :
ـ تذكرى .. فرار ومطاردة .
وأحنت رأسها ، شاعرة بأنها طريدة وقعت فى كمين، والصياد فى أعقابها يطاردها بلا رحمة .
وهمس القديس :
ـ هيـا ... !
وانطلقت جانى راكضـة ، وأخـذت ترتقى الدرج مسرعة ، متجهة الى الضوء الذى يتألق فى الخارج ـ منطلقة الى الحرية .
وفى أعقابها أخذ القديس يجرى ، متظاهرا بأنـه يلاحقها ويطاردها ، وهو مرتد ثياب كواكو ، والقناع منسدل على وجهه ، مادا ذراعيه أمامه ، محاولا أن يمسك بها .
وفى هذه اللحظة كان زوران متجها الى المنعطـف الذى يؤدى الى الكهف ، وكان يخاطب كرامر قائلا :
ـ هل تأكدت من مكتب البريد أن ..
ولكن الانقلاب الفجائى الذى عرا سحنة الطيـار جعل زوران يستدير ليتبين ما حدث .
ولكن كرامر كان قد قفز الى الامام محـاولا أن يعترض طريق جانى ، وكانت جانى منطلقة بأقصى سرعتها ، فاستطاعت أن تبلغ الدرجة العليا .
وهتف بها كرامر :
ـ الى أين يا جميلتى .. ؟
ولكن كواكو المزعوم كان قد لحق بها قبل أن يصل اليها كرامر ، وأمسك بها .
وقال القديس محاكيا فى لهجته ونبراته صوت الحارس الزنجى :
ـ اطمئن يا سيدى .. لقد أمسكت بها .. !

ولكن زوران كان فطنا ذكيا .
صاح بأعلى صوته فى غضب :
ــ هذا العبد ليس كواكو .. !
واستعاد القديس صوته الطبيعى وقال :
ــ صدقت .. ! هذا العبد ليس كواكو .
وفى اللحظة التى كانت فيه هذه الكلمات تزايل شفتيه كانت قبضته قد استقرت على وجه كرامر فى لكمة عنيفة تهد جبلا .
وترنح الجبل ــ الذى هو كرامر ــ واصطدم بالجدار . ولم يكن مطلوبا من جانى الا أن تبادر الى العمل .
وبادرت جانى الى العمل .
مدت يدها بحركة قوية ، يدها الممسكة بالتمثال ، واستقر التمثال على رأس كرامر .
وأسرع القديس يأخذ بذراع جانى ، ويجتاز بها المدخل الى الخارج .. الى الحرية .. الى الخلاص .. الى الهليوكوبتر .
وهتفت به جانى :
ــ هل حقا نجونا يا سيمون .. ؟ هل حقا انتصرنا .. ؟ انى لا أستطيع أن أتخيل ذلك ..
وأجابها وهى تجرى لاهثة بجانبه .
ــ أرجو أن نكون قد نجونا يا عزيزتى .. ان الامل لا ثمن له ، فعليك أن تأملى دائما .
ومع ذلك فقد كان القديس يتوقع خطرا جاثما فى الطريق حيث لا يدرى .. ان زوران ليس من الغباء بحيث يعتمد على الباب المكهرب وحده ، بل لابد أن يكون قد أعد كمائن أخرى على طول الطريق ، يواجه بها الهاربين .

مستحيل أن تكون الغابة آمنة سليمة .

ان الحارس الذى رآه القديس عند قدومه رابضا فوق شجرة عند بداية الطريق لابد أن يكون قائما فى مرصده ، فكيف يتسنى له أن يعبر هذه الادغال فى سلام .. ؟

ان الخطر الجاثم شديد ، وهو خطر مجهول لايعرف عنه شيئا : من اين يأتى ، وكيف يروغ منه ويتقيه ..؟

ما يدريه ان تبرز من باطن الارض الواح من الحديد تسد الطريق ..؟ او قد يبرز اليه حارس آخر من مكان خفى وسط الادغال ..؟

وفيما هو يدير هذه الخواطر فى رأسه اذا بأشباح تتراءى له على البعد .. نصف دستة من الزنوج من اتباع الهة الشباب جوفينشيا ــ أولئك الذين كانوا فى انتظار هبوط الطائرة الهليوكوبتر . وكانت فى أيديهم مناجل يجزون بها الشجيرات ليمهدوا بقعة للطائرة تهبط فيها .

وكل منجل منها يكفى لقتل مئات من الرجال .

وتقدم الرجال الستة : المناجل فى أيديهم ، والوحشية فى عيونهم ، وضربوا نطاقا حول القديس وصاحبته .

وقال عملاق منهم وهو يتأمل القديس :

ــ الى أين تذهبان .. ؟ محظور أن تغادرا بيت الاب الكبير .

وقال عملاق آخر وقد عقد ما بين حاجبيه مفكرا :

ــ ولكن هذين ليسا من طائفتنا .

وتكلم القديس .. قال :

ــ سلام على أولاد الاب الكبير .. !

وتبادل الزنوج الستة النظرات ، واختفت من عيونهم اللمسات العدائية .

واستطرد القديس :

ـ لقد أمرنى الاب الكبير أن اذهب بهذه المرأة الى الغابة وأن اسلمها الى الطائر الآلى .

وأمسك القديس بذراع جانى ، وتقدم خطوة الى الامام ، ما لبث أن أتبعها بخطوة أخرى .

كان هدفه الوحيد أن يصل الى الطائرة فى مربضها الخفى وسط الادغال .

وقال سيمون : ـ تقدمى يا جانى .. واياك أن تتراجعى أو أن تتلفتى وراءك .

وتقدما الى الامام ، وتجاوزا الحراس ، وانتهيا اخيرا الى حيث تقف الطائرة الهليكوبتر .

وفجاة جاءت صيحة من الخلف :

ـ قفوا .. !

كان زوران هو الذى أصدر هذه الصيحة ، وكان كرامر يجرى نحو الهاربين ، ومعه نفر من الحراس .

وصاح زوران :

ـ اقبضوا عليهما .. ! الاب الكبير يأمركم .

وانقض الزنوج على الهاربين ، ومرة أخرى أصبح القديس وجانى أسيرين ، وسد أمامهما سبيل الهرب .

ووضع أحد الحراس سيفه على عنق القديس وهو يقول :

ـ هل اذبحه أيها الاب الكبير .. ؟

وصاح زوران :

ـ كلا .. لا تقتله يا كواتو .. ! انى ادخر له ما هو أفظع من الموت .

واستدار زوران راجعا الى الكهف ، وفى وجهه سمات شيطان .

واشار كرامر الى الحراس بأن يمضوا بالاسيرين

الى الكهف . وسار الموكب الرهيب يتوسطه القديس بابتسامته الساخرة ، وجانى بامارات اليأس تعلو وجهها .

وقال القديس فى غير اهتمام :

ـ أنى لا أحب أن أغسل وجهى ويدى لازيل هذا الهباب الاسود الذى يعلوها .

فقال زوران :

ـ هذا أفضل حتى يتسنى لى أن استمتع بامارات الرعب التى سوف ترتسم على وجهك .

واقتيد القديس الى غرفة صغيرة ، فخلع ثياب كواكو التى كان يرتديها ، وغسل وجهه ، وزال السواد الذى يغطيه ، ثم تحول الى زوران قائلا :

ـ ايها البروفيسور الاب الكبير ..

وابتسم زوران ابتسامة شيطانية مخيفة ، وجعل يتحسس لحيته الصغيرة المدببة . ثم قال :

ـ مستر تمبلار .. انك رجل متعب .. بل انك متعب أكثر مما كنت أتوقع .. فى اللحظةالتى حسبتك فيها مذعنا مستسلما لمصيرك اذا بك ترفع راية العصيان .

ثم أردف فى صوت صارم النبرات :

ـ ولهذا قررت أن أقضى على هذه النزوات الخبيثة الشريرة التى تراودك قضاء مبرما .

فهز القديس كتفيه بلا اكتراث وقال :

ـ اننى قديس أيها الاب الكبير فكيف اذن تخامرنى أفكار شريرة .. !

فقال زوران : ـ ان مزاحك لا يروق لى ، وها أنذا اكرر عليك مرة أخرى أن مصيرك معلق بيدى .

كان القديس يدرك أنه واقع فى مأزق لا مهرب منه ..

كهف على مدخله باب مكهرب، وحـــراس مدججون بالسلاح ، فكيف السبيل الى الفرار .. ؟

ومع ذلك فانه لم يفقد ابتسامته ، ولم يفقـــد شجاعته .

قال مقاطعا :

ـ انصت الى أيها الاب الكبير .. اننى رجل لايمكن أن تتخلى عنى الاقـــدار ، وحين تظن أنـــك انتصرت وهزمتنى ستجد فجأة أننى أنا المنتصر وأنت المهزوم ، فكن على حذر .

فقال زوران :

ـ كفاك هذرا وثرثرة يا مستر تمبلار .. ! انظر الى صديقتنا العزيزة جانى وتأمل وجهها .. ان وجهها ناطق بأنها لا تؤمن بكلمة واحدة مما يردده لسانك ..! انها تدرك بذكائها انك هزمت واقه قضى عليك قضاء مبرما .. ان مصـــيرك اليوم هو مصـــير الدجالين المغرورين .

وأطلق زوران ضحكة جنونيـــة رددت الجـــدران أصداءها . ثم تناول سيجارة أشعلها ، وجذب منها عدة أنفاس تجول بعدها الى جانى قائلا :

ـ والآن ما رأيك يا مس لويس .. ؟

فتساءلت فى وجل وهى تزدرد ريقها :

رأيى فى أى شيء .. ؟

ـ فى المصير الذى ينتظر مستر تمبـــلار .. أننى ادخر له تجربة رائعة .. المغامر الجسور .. روبين هود العصر الحديث .. سيعود شابا فى مقتبل العمر، وسيروى لنا مغامراته العجيبة بلسان يتجلجلويتعثر .. سأجعل منه أعجوبة أقدمها للدنيا .

وبنفس الابتسامة المرحة غير المكترثة قال القديس:

ـ صدقت يا بروفيسور .. انها فى الحق سوف تكون أعجوبة نادرة .

وصرخت جانى ووجهها ناطق بسمات الفزع والرعب :

ـ انك لن تفعل به هذا يا بروفيسور .

وتجلت امارات الجنون فى نظرات زوران وقال :

ـ ولم لا .. ؟ اننى اريد أن أخرج على العالم بشىء يذهله .

وهتفت جانى :

ـ سيمون .. هل جننت .. ؟ أتضحك وأنت فى هذا الموقف الرهيب .. ؟

فقال تمبلار : ـ ألعلك تريدين منى أن أبكى .. ؟ ألا يمكنك أن تتصورى كم أكون سعيدا عندما أرتد فتى فى العشرين .. ؟

فغمغمت :

ـ ولكن .. ولكن ألا تدرى ما سوف يحل بك .. ؟

لم يكن فى قدرتها أن تتصور القديس وهو ينقلب أبله معتوها كهؤلاء الزنوج الذين يروحون ويغدون تحت بصرها .. لقد ارتدوا رجالا فى عنفوان الشباب .. هذا صحيح ، ولكنهم تجردوا من العقل والقدرة على الفهم .. لقد أصبحوا بلهاء معتوهين ، فهل يكون هذا هو مصير القديس ـ أذكى الأذكياء ، وأدهى الدهاة .

وتقدم زوران من الفتاة وقال وعيناه تبرقان بنظرة من الجنون :

ـ لم تبق أمامى الا عقبة واحدة ، اذا تخطيتها أكون قد بلغت باختراعى مرتبة الكمال.. ولقد عرضت على كرامر أن أجرى عليه التجربة الاخيرة ولكنه رفض ، فلم يبق أمامى الا أن أقوم بالتجربة على نفسى ، ولكنى

ترددت ، اذ من المحتمل أن يكون بالجهاز خطأ ما ، فأسترد الشباب ويضيع منى العقل والعبقرية ، وبذلك تفقد الدنيا عالما ليس له نظير : هو البروفيسور زوران .

وأطلق ضحكة ملتاثة مخبولة .

وتطلع اليه القديس مفكرا .. هذا الرجل أصبح دون شك على حافة الجنون .

وأراد القديس أن يصرفه عن التفكير فيما هو ماض فيه ، فقال له :

ـ انك لم تبلغنا بما جاءك من الانباء الجديدة التى حملها اليك صاحبنا كرامر .. ؟

وتحول القديس الى الطيار قائلا :

ـ ما وراءك من الانباء يا عزيزى كرامر .. ؟

كان كرامر منزويا فى ركن الغرفة ينصت الى الاحاديث التى تدور دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

ولم يحاول كرامر أن يرد على سؤال القديس ، وانما كان قابعا فى ركن الغرفة ويداه فى جيوبه . ولكن تمبلار كان يقرأ فى عينيه ما يدور فى ذهنه .

كان واضحا أنه ساخط على زوراء ، وكان واضحا أنه مؤمن بأن زوران مجنون اختبل عقله ، ولكنه أثر ان يتخذ موقفا سلبيا ، وان لا يحاول أن يتدخل .

وقال زوران مجيبا على السؤال الذى وجهه تمبلار الى الطيار :

ـ التفويض الذى وقعته عزيزتنا جانى سافر بأول طائرة ، وسيقوم مندوب خاص بتسليمه الى البنك .. فالامور كما ترى تسير على ما يرام .

فقال القديس معقبا وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :

ـ لا تنس يا عزيزى البروفيسور أن لويس مات

ميتة مشبوهة تحوطها الريب والشكوك ، والبوليس يشتبه فى كل من كانوا على صلة به ، حتى فى ابنة أخيه . فما أن يقدم التفويض الى البنك حتى يسارع الى ابلاغ البوليس .

فضحك زوران فى سخرية قائلا :

ــ أيهمك أمرى الى هذا الحد .. ؟ أولى بك أن تهتم بنفسك .. والان هلم بنا .

وهمت جانى بأن تعترض ، وأن تسد الطريق ، ولكن نظرة خاطفة من عينى القديس جعلتها تلــزم مكانها .

وتقدم زنجيان عملاقان كانا يقفان بباب الغرفة ، واقتادا القديس الى الخارج ، وزوران يمشى خلفهما .

ولم يبق فى الغرفة الا جانى وكرامر .

تطلعت جانى الى كرامر ، ولكنه كان مطرقا برأسه الى الارض .

كانت تعرف أن كرامر يهيم بها غراما ، ولكن ها هو ذا لا يحرك ساكنا ، ولا يخف الى نجدتها .

وها هو القديس قد أخذ أسيرا ، وبقيت هى وحدها، بلا صديق يساندها أو يبث الشجاعة فى نفسها .

واغرورقت عيناها بالعبرات ، وهى تذكر المصــير الرهيب الذى يترصد القديس .

انه الان بين يدى ذلك المجنون زوران ، ولا مهرب منه ولا فكاك .

الفصل الثالث عشر

تناول زوران مفتاحا من جيبه ودسه فى ثقب القفل، ودار لباب المعدنى على محوره ، وتكشف عن زنزانة صغيرة ضيقة ليس لها مدخل آخر ، وخالية من النوافذ

والفتحات ، فيما عدا نافذة صغيرة فى أعلى البــاب تقوم عليها القضبان الحديدية .
وابتسم القديس وقال بصوته المرح الساخر :
ــ الحق أن جوفينشيا الهة الشباب لا تغفل شيئا.. حتى السجون والزنزانات متوافرة لديها .
فقال زوران : ــ وما الذى يثير شكواك يا مستر تمبلار .. ؟ ان زنزانتك مكيفة الهواء ، فليس لك أن تشكو .. أنك كنف ضيفى ، وقد وفرت لك كل أسباب الضيافة ، ولكنك خرقت اصول الضيافة فحقِ لى أن اغير أسلوب معاملتى لك .. ان الضيف لا يحاول أبدا أن يهرب من بيت مضيفه .
ــ وهل تقضى أصول الضيافة بأن يكون الضــيف سجينا محظورا عليه أن يبرح البيت .. ؟
ودار القديس ببصره فى ارجاء الزنزانة ، فلم تأخذ عينه الا فراشا ومقعدا وحوضــا للاغتســال ومنضدة صغيرة .
وقال : ــ انزنزانات سجنالكاتراز أو سينج سينج مزودة بأثاث أفضل من هذا يا بروفيسور .. !
فأجاب : ــ أنت الذى زججت بنفسك فى هــــذا الموقف يا مستر تمبلار .
وتبدت على وجه زوران سمات سعيدة توحى بأنه راض تمام الرضاء عن هذا الموقف ، وان لا شىء يسعده كأن يجد القديس خاضعا تحت رحمته ورهن مشيئته .
وقال القديس بذلك الصوت اللاهى غير المكترث :
ــ وهبنى هربت يا بروفيسور .. ؟
ــ ان فرارك مستحيل ، فدعك من الاوهام ولا تؤمل فى المستحيل .
ــ وهبنى أفضيت بما أعرف .. ؟

ـ انك لا تعرف شيئا .. كل ما يجول فى ذهنك مجرد ادعاءات وترهات .

فهز القديس كتفيه فى غير مبالاة وقال :

ـ بل انى أعرف أكثر مما تتصور يا عزيزى الاب الكبير .

وقطب زوران جبينه وقال :

ـ انك تهزأ بى وتلقبنى بالاب الكبير ، ولكنى سأعرف كيف أجبرك على احترامى .. سأجعلك تزحف عند قدمى كالكلب الحقير . أما فى الوقت الحاضر فسوف تكون حبيس هذه الزنزانة الخانقة انتظارا لاوامرى .

فهز القديس كتفيه وقال بلا اكتراث :

ـ لك أن تفعل بى ما تشاء ، ولكن تأكد أنه ستحل لحظة أفعل بك فيها ما تشاء .

وقال زوران : ـ انك ستبقى هنا يومين ، وربما ثلاثة على الاكثر . وفى خلال هذه الفترة أكون قد فرغت من اعداد جهاز الشباب لكى يستقبلك ويرحب بك ..

فقال القديس : ـ وفى خلال هذين اليومين منيدرى ما سوف يحدث .

ـ لن يحدث الا شىء واحد .. ذلك هو أن أنكب على الجهاز لكى أدخل عليه بعض التحسينات .. سأحاول أن أجعله يحتفظ لك بقدراتك العقلية مع اعادتك شابا فى الوقت نفسه .. انك ستكون البرهان القاطع على فوزى وانتصارى ، وسأجعل منك بعد هذا ساعدى الايمن .

فقال تملار وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ وعند هذا تجثو الدنيا عند قدمينا خاضعة لنا .

وعند هذا صفق زوران الباب المعدنى ، وأصبح القديس حبيس زنزانته الضيقة .

ومضى يتفحصها باهتمام . . لم تكن بها نافذة واحدة ، ولم تكن بها ثغرة تتيح له الفرار .

كانت أشبه بخزانة من الصلب ، ولم يكن أمامه الا أن يرتمى على الفراش ينشد النوم .



اذا كانت لسيمون تمبلار تلك الاعصاب الهادئة التى لا تهتز ولا تتهاوى أمام الكوارث ، فان جانى لويس لم تكن على شاكلته ، ولم تكن لها هذه الصلابة .

واذا كان القديس واثقا من انتصاره على زوران وعلى أعوانه من طائفة الزومبى ، فان جانى — على النقيض — كانت موقنة من الهلاك .

أخذت تتابع بصرها الحارسين الزنجيين وهما يقودان القديس الى زنزانته ، وقد استبد بها خوف طاغ ملك عليها مشاعرها وسرى فى أوصالها ، وهى تسائل نفسها فى خوف عما اذا كان البروفيسور سيجرى التجربة فورا على القديس .

ولكن سرى عنها حين رأته بعد دقائق قليلة يغادر معبد الة الشباب ، راجعا اليا .

أقبل زوران على جانى يقول :

— لقد أبحت لك يا عزيزتى جانى قدرا من الحرية ، ولكنك خنت ثقتى وخدعتنى وحاولت أن تهربى . . وليس هذا فقط بل أصبت اثنين من « أولادى » بجرح حين ضربتهما بالتمثال ، وهذا شىء لا يمكن أن أغفره لك . . انك أخللت بحقوق الضيافة ، ولذلك أحرم عليك الخروج من هذه الغرفة .

وسألته فى لهجة تنطوى على العداء :
ــ ما الذى فعلته بسيمون .. ؟
فأجاب : ــ هدئى من روعك ، فلم يلحقه أى أذى. ولن أعيد اليه شبابه الا بعد يومين على الاقــل .. فلنقل بعد غد مثلا . .وفى خلال هذه الفترة سأنكب على تحسين الجهاز .
ثم حدجها بنظرة فاحصة من تحت زجاج نظارته السميك وأردف يقول :
ــ سأكون متفرغا لعملى فاياك أن تحاولى مضايقتى واستفزازى .. لا تحاولى الهرب ، ولا تسعى الى مقابلة مستر تمبلار . واعلمى أنك ستكونين تحت الرقابة الصارمة خلال هذه الفترة .

* * *

عندما أوشك النهار أن ينصرم فتح باب الزنزانة ، ودخل أحد الحراس يحمل الى القديس طعامه .
وابتدره القديس بقوله :
ــ سلام عليك يا ذا الوجه الابنوسى .. ! لو كان طعامكم صلبا كسريركم فلن أتردد فى أن أقذف به فى وجهك .
ومن خلال فجوة الباب الموارب ألقى القديس بنظرة سريعة الى خارج الغرفة يتبين معالم المكان الذى حبس فيه .
كانت الحراسة شديدة صارمة ، ففى الممشى وقف حارسان آخران ينتظران زميلهما ، وفى أيديهما خناجر مسنونة يبرق نصلها الرهيب الحاد .
وقال القديس فى نفسه :
ــ انه لخنجر رهيب يأمرنى بالاخلاد الى السكون .

ومع ذلك فما كان القــديس بالرجــل الذى يذعن ويستسلم .

مال الى العملاق الزنجى وهمس يقول :

ــ آانت على استعداد لان تنصت الى ما أقول ..؟

ولكن الوجه الابنوسى ظل ساكنا جامد الاسارير .

واستطرد القديس : ــ اننى أعرف انك لا تحفــل بالمال ، فهل تراك لا تحفل أيضا بالمتعات الاخرى التى تقدمها الدنيا..؟ ما رأيك فى متعة الويسكى والروم..؟ ومتعة الغناء والرقص .. ؟

واختلجت عينا الزنجى العملاق ورمشت عيناه ، وأدرك القديس أن رميته أصابت الهدف ، وان ظل الحارس الزنجى صامتا لا ينبس بكلمة .

وتابع القديس الحديث قائلا :

ــ ومارأيك فى الفودو .. ؟ أما سمعت عن الاشباح التى يمكن أن تنغص عليك حياتك .. ؟ أما تعلم أن فى وسعى أن أطلق هذه الاشباح وأن أجعلها ..

ولكنه أمسك لا يتم عبارته .

ففجأة علا صوت من ركن الغرفة ، وكان هذا هــو صوت زوران .

كانت الغرفة مزودة بآلات الاستماع الموضوعة فى أركان خفية ، وأيضا بميكروفون خفى .

تمبلار .. ان جميع « أولادى » مطيعون لى وخاضعون لاوامرى ، ولا يمكن لاى منهم أن يفكر فى الغدر بى .. ان جهودك فى اغرائهم سوف تذهب سدى .

واستمر الصوت الخفى يقول :

ــ اسمع يا كواتو .. غادر الغرفة على الفور ، ولا تنسى أن توصد الباب وراءك وتحكم الاقفال .

وغمغم الحارس الزنجى وقد علت وجهه امارات الخوف :

ــ سمعا وطاعة أيها الاب الكبير .

ودار الباب المعدنى على محوره ، وانصفق الباب وسمع القديس تكة القفل .

* * *

أمضت جانى ليلة أرقة تتقلب على فراشها لايغمض لها جفن .

كيف الخلاص من هذا السجن الرهيب ، والحراس قائمون على أبوابه .. ؟ أترى قضى عليها بأن تظل حبيسة هذا الكهف مدى الحياة .. ؟ وما يدريها أن زوران فى جنونه قد يفكر فى أن يجرى عليها احدى تجاربه لاعادة الشباب .. ؟ ألم يفكر فى أن يتخذ من كرامر هدفا لتجربته لولا أن هذا رفض .. ؟

وحين طاف اسم كرامر بذهنها ــ خطرت لها فكرة طارئة .

انها تعرف ان كرامر يهيم بها حبا ، فلم لا تستغل هذا الحب لكى تغريه بأن يساعدها على الهرب هى والقديس .. ؟

انها ــ كامرأة ــ لم تفتها نظرات كرامر الوالهة المفتونة ، فلم لا تحاول .. ؟ ان حبه لها قد يدفعه الى خيانة زوران ، فيرضى بأن يمهد لها وللقديس سبل الفرار .

وحين دخل عليها كرامر فى الصباح كان رأيها قد استقر على الطريق الذى تسلكه .

قال لها كرامر وهو يرميها بنظرة حالمة :

ــ كيف الحال .. ؟ هل نمت جيدا .. ؟

فأجابت : ـ بل قضيت ليلة مزعجة .. أسوأ ليلة فى حياتى .

فبانت فى وجهه امارات الرثاء والاشفاق وقال فى تردد :

ـ هل أستطيع أن .. هل أستطيع أن أفعل شيئا من أجلك يا مس لويس .. ؟

وأقدمت جانى على تنفيذ الخطة التى استقرت عليها .

سيمون حبيس زنزانة مغلقة لا سبيل له الى الفرار منها ، وهى وحدها التى قد تستطيع أن تفعل شيئا .

انها قد تستطيع أن تفعل شيئا .

انها قد تستطيع أن تغرى هذا الفتى على انقاذها ، فلم لا تحاول .. ؟

وهمست فى صوت ناعم النبرات :

ـ لم لا تدعونى جانى .. ؟ أليس هذا الطف .. ؟

وتضرج وجه الفتى احمرارا ، واختلجت عيناه ، واشرقت سحنته بابتسامة سعيدة .

فقال : ـ لكى أتمنى أن أعيد الى وجهك ابتسامته والى عينيك بريق السعادة .

فقالت وقد اشتد صوتها رقة وعذوبة :

ـ انك تستطيع يا مارك .. لو انك أردت .

وألقت بأناملها على ذراعه ، وهمست :

ـ أطلق سراح سيمون .

ومشت فى عينيه ومضة حزينة وأجاب :

ـ لا استطيع .. وانت تدركين هذا .

وأبعد يديها عن ذراعه ، وارتدت خطوة الى الوراء وقالت :

ـ اذن لماذا تسألنى عما اذا كان فى استطاعتك ان

تساعدنى .. ؟ أول شىء أسألك اياه ترفضه وتنكره على .. ؟

واستطردت جانى فى نبرة انفعال مرسومة ومتعمدة :

ــ انك رأيت تلك الالة الرهيبة التى تعيد الشباب ... انها تجرد المرء من قدراته العقلية وذكائه ... انها تحيله معتوها ... مجرد حيوان لا انسان ... الا تعرف ان هذا المصير المفزع هو الذى يترصد مستر تمبــلار .. ؟ أيرضيك أن يكون هذا هو مصير رجل من أذكى الرجال فى العالم .. ؟

فقال لها فى نبرات متعلثمة :

ــ ان البروفيسور على يقين من أنه ســيوفق الى تحسين الجهاز ، وهو الان فى المعبد منكب على العمل.

فصاحت جانى : ــ أتسميه معبدا وهو الذى يضم آلة جهنمية تحيل الاذكياء بلهاء والعقلاء مجانين .. ؟ أتراك تصدق ان زوران يسعى الى خير الانسانية .. ؟ لو أنه كان حقا عالما مخلصا للعلم لمضى بجهــازه الى المؤسسات العلمية ، ولاقام معملا تموله هذه المؤسسات بأموالها ولقام بأبحاثه تحت اشرافها ... أنه مجنون يريد أن يخلق حوله عالما من المجانين .

فقال لها كرامر : ــ لا أنكر ان زوران رجل مغرور ، وأنه لا يريد أن يشاركه أحد فخر اختراعه . وهو موقن من النصر فى النهاية .

ــ وبعد ذلك .. ؟ الم يخــطر لك أبدا ما ســوف يفعل .. ؟ انه يريد أن يكون الرجل الوحيد « العاقل » فى هــذه الدنيا ، أما الاخرون فسوف يكونون عبيــدا معتوهين كهؤلاء الزومبى .

وعادت جانى تتشبث بذراعه وتقول :

ــ مارك .. ارجوك ... أتوسل اليك أن تساعدنى.

فقال : ــ جانى ... انى مثلك أمقت الاعمال الذى يقوم بها هذا المجنون ، ولكننى بكل أسف مضطر الى أن أطيعه .

وحدجته بنظرة ملتهبة واستطردت :

ــ أتراك تخشاه يا مارك .. ؟ انك أقوى منه وأوفر شبابا ... أنك تستطيع أن تمنعه من ارتكاب هــذه الجرائم الجهنمية ... انكَ تستطيع حتى أن تقتله لكى تخلص العالم من شروره . ثم ما يدريك أنه قد ينقض عليك يوما فيتخذ منك موضوعا لتجربته .

ولبث كرامر صامتا : ولكن أساريره نمت على الصراع الذى يدور فى نفسه .

وتابعت جانى الحديث بقولها :

ــ ما الذى يخضعك له .. ؟ المــال ..؟

فهز رأسه وقال : ــ كلا ... ولكنى لا أستطيع أن أصــارحك .

وقالت : ــ انى أستطيع أن أمنحك من المال أضعاف ما وعــدك .

فقال كرامر فى صوت متهدج :

ــ جانى ... أرجوك أن تصدقينى ... انى أمقت هذا الرجل ، وأمقت أعماله الجهنمية ... وذلك منــذ أن عرفتك ، ولكنى لا أملك أن أغدر به .

فتباعدت عنه ، وانزوت فى ركن الغرفة وهمست :

ــ كنت أحترمك وأقدرك ، أما الان فقد خيبت ظنى ... لقد جعلتنى أحس الخزى والعار ازاء جبنك .

وغمغم الطيار : ــ لكنى أتمنى أن أساعدك. .ولكن ما عساى أفعل .. ؟ لو اننى رفعت أصبعا فى وجهه لاطلق أعوانه ينكلون بى ويقتلوننى .

ــ لا شىء يصد الرجل الشجاع عن طريقه ، وانى

لاعرف انك بطل شجاع .
ثم أردفت فى ازدراء : ــ مارك ... كم تطلب .. ؟
وغض كرامر من بصره ، وأطرق برأسه وهو يستشعر الخزى والعار .
وفى نفس هذه اللحظات كان البروفيسور زوران فى المعبد منكبا على العمل ، ولكن أجهزة الاستماع المبثوثة فى غرفة جانى حملت اليه كل كلمة دارت بينها وبين كرامر .
وغمغم زوران يخاطب نفسه :
ــ اذن فهى تريد أن تغريه بخيانتى ... الويل لها منى .
ثم أردف وعيناه تلتمعان جنونا :
ــ وكرامر فيما يبدو على استعداد للغدر بى .. ! جميل جدا .. اذن فسوف القنه درسا لا ينسى .

الفصل الرابع عشر

حين سمع القديس صوت كرامر صادرا من وراء الباب أدرك أن النهاية قد دنت .
أهكذا يموت كالفأر الحبيس فى المصيدة ، وهو البطل الذى واجه الاخطار ، وصمد أمام العصابات التى حاولت أن تغتاله وتقضى عليه .. ؟
كلا .. انه لن يستسلم ، ولن يخنع ، بل سيناضل حتى آخر قطرة من الدم فى عروقه .
وسمع تكة القفل ، ودار الباب على محوره ، وظهر بعتبة الطيار كرامر يتقدمه زنجى يحمل صينية عليها صحاف الطعام .

وهتف تمبلار : ــ الفطور ..! رائع جدا فقد كدت أموت جوعا .

وجلس القديس الى المـــائدة يلتهم الطعام التهاما ، بشغف وشهية ، كأنما لا يشغله من دنياه الا أن يأكل .

ووقف كرامر بعتبة الباب الموارب يرقب أسيره فى استغراب .

وقال له بعد لحظات فى صوت شارد النبرات :

ــ يخيل الى يا قديس انك لا تحبنى كثيرا ..؟

وقطب تمبلار جبينه ، وتطلع اليه متسائلا وهو يقول:

ــ أتراك سوف تحب فيما يأتى من الاعوام سجانك فى سجن سينج سينج .. ؟

فقال كرامر : ــ انك دائما تسخر منى ، فهل تريد أن أهشم لك وجهك .. ؟

ــ تمهل على الاقل حتى أفرغ من طعامى ، ولا تفسد على هذه الوجبة .

وساد الصمت برهة ، ثم عاد الطيار يقول :

ــ أننى لم أذهب أبدا الى سينج سينج،ولا أنوى أن أذهب اليه . ولكننى أسائل نفسى فى كثير من الاحيان عما اذا كان زوران بأعماله ينوى أن يجعل السجن مصيرى.

وازاء هذه الكلمات كف القديس عن طعامه ، وتطلع الى كرامر .. ترى ما الذى يدور فى ذهنه .. ؟ ماالذى ينوى أن يقــول .. ؟

وقال القديس وهو يتخير كلماته :

ــ لا أظن يا كرامر ... ان زوران عالم بحاثة ، وهو يسعى الى خـــير الانسانية ، فكيف يدفـــع بك الى السـجن .. ؟

ولاذ كرامر بالصمت برهة ، ثم قال :

ــ لقد طلبت الى جانى أن أنقذك ..

وحدجه القديس بنظرة فاحصة .. أتراه صادقا فيما يقول ، أم هذا فخ ينصبه له زوران .

واستطرد كرامر : — لو أننى كنت واثقا من أننى سأفلت من براثن زوران لما ترددت ... لقد جرى بخاطرى أكثر من مرة أن أهرب ، ولكننى خائف من البروفيسور .. أنه يستطيع أن يشى بى الى الشرطة ، ولى ماض حافل أخشى أن يكشف عنه الستار .

فقال القديس : — كن مطمئنا .. ان لى اتصالاتى الوثيقة بالسلطات العليا ، وأستطيع أن أعدك بالحماية ... أخرجنا من هذا الكهف وعندئذ ...

وأبرقت عينا كرامر ، وجعل القديس يتأمله فى اهتمام ، وكان موقنا أن زوران يستمع الان الى كل كلمة تدور بينه وبين طياره عن طريق الميكروفونات المبثوثة فى الزنزانة ، كما سمع بالامس حديثه مع الحارس الزنجى .

لم يكن القديس يبغى من هذا الحديث الا أن يثير الرجلين أحدهما ضد الاخر ، وأن يستفزهما الى العراك .

وقال كرامر : وهبنى أخرجتك من هذه الزنزانة ، فما عسى أن يجديك هذا .. ؟ أنك لن تستطيع أن تتقدم خطوة واحدة بعد ذلك ... انك تعلم أن الزنوج من « أولاد » الاب الكبير يملأون الكهف ومنبثون فى كل أرجاء الغابة ، وهم يدينون له بالطاعة العمياء .. ثم انه الوحيد ... الوحيد الذى يعرف الجهاز السرى الذى يقطع التيار الكهربائى عن السريان فى باب الكهف . ولم يحاول أبدا أن يكشف لى هذا السر ، فكيف يتسنى لك اذن أن تغادر الكهف .. ؟

وفرغ القديس من طعامه وقال :

— شكرا على هذه الوجبة الشهية ، ولكنى فى حاجة

ملحة الى التدخين .
فقال كرامر : ــ وهل حسبت أن هذا غاب عنى ..؟ خــذ .
ودفع اليه بعلبة ســجائر .
وجذب القديس عدة أنفاس من سيجارته بشغف ولذة ثم قال :
ــ سواء كان باب الكهف مكهربا أو غير مكهرب فانه لن يقف عقبة فى طريقى ... لقد عرفت من قبل كيف اتغلب على ابواب أشد صلابة وصــمودا ... ما أن أخرج من هذه الزنزانة حتى أهزم زوران هزيمة منكرة .
فتساءل كرامر : ــ ولكن ما الذى تنوى أن تفعل ..؟
ــ دع الامر لى ، وحسبك أن تثق بى .
لم تكن لدى القديس خطة معينة ، ولكنه أراد أن يضع كرامر موضع الاختبار .
وقال كرامر : ــ سوف أفكر فى الامر ... سوف اتلمسَ وسيلة لانقاذك من هذه الزنزانة .
فقال القديس : ــ ولكن كن على حذر ، فلو أن زوران اكتشف الامر ...
وسرت رعدة فى أوصال كرامر ، واسرع يغــادر الزنزانة يسعى الى مقابلة جانى ، ولكنه فوجىء بأن وجد زوران أمامه يعبر البهو الكبير .
ودعاه زوران الى مكتبه وسأله :
ــ هل تحدثت الى السجين .. ؟
ــ نعم يا بروفيسور ، وهو يبــدو قليل الاكتراث بمصيره ، بل لعله يبدو سعيدا راضيا .
فغمغم زوران : ــ هذا غير معقول .
ولم تكن فى صوت زوران نبرة توحى بأنه كان يسترق السمع على حديث الغدر والخيانة الذى دار بين تمبلار

ومســـاعده كرامر ... كان أشـــبه بالصياد ، يكمن ويتربص ، يترقب من الفريسة أن تقع فى المصيدة .

وساد الصمت برهة ثم قال كرامر فجأة :

ــ بروفيسور ... لقد خطرت لى فكرة ... ان مس لويس تثق بى ، وقد ناشدتنى أن أساعدها .. ؟

ــ وكيف كان جوابك ..؟

ــ وعدتها بأن أفكر ، وهذا كل شىء ، وعندما زرت القديس أثناء تناوله فطوره استقر رأيى على أن أستدرجه الى الحديث وأن أوحى اليه بأننى أنوى أن أنقذه .

فتفرس فيه زوران بنظرة عميقة وقال :

ــ والى أى شىء ترمى من وراء هـــذا .. ؟

ــ سأكون موضع ثقة الاثنين ، وبذلك يفضيان الى بما ينتويان ، فنقف على سرهما أولا بأول .

وطاب زوران نفسا بما سمع .. لقد ظن ان طياره خانه فاذا به مخلص أمين .

وقال زوران : ــ فكرة رائعة ... انى أهنئك يا كرامر ... اذن واصل تنفيذ خطتك .

ثم أردف : ــ أتراك تكره مستر تمبلار .. ؟

ــ انى لا أكره انسانا كما أكرهه .

فقال زوران : ــ اذن حاول أن تظفر بثقتهما .

وتساءل كرامر : ــ ومتى تنوى أن تجرى تجربتك على مستر تمبلار .. ؟

ــ لا أدرى بعد ... ما زالت تنقضى بعض المعادلات الرياضية ، ولكن الامر لن يتأخر كثيرا ... ربما مساء الغد أو بعد غد على الاكثر ... الان أريد منك أن تسافر فورا الى هافانا لتجلب بعض الأدوات التى أحتاج اليها ... هيا وعجل .

ولكن كرامر استطاع ان يلتمس لحظات خاطفة التقى

فيها بجانى ، وابلغها برحيله المفــاجىء الى هافانا ، وقال لهــا :

ــ ولكنى سوف أعود فى أقرب وقت ... سأكون هنا صباح الغد على الأكثر .

وتشبثت الفتاة بذراعه ، وتساءلت :

ــ والقديس .. ؟ ألم تقابله .. ؟ أثق فيك واستنجد بك فاذا بك تفر وتهرب ، وتدعنى لمصيرى .. !

فأجاب : ــ لقد قابلته وتحدثت اليه ... وصارحته بما أنوى ، ولكنى ما زلت أجهل كيف أتصرف .. ! كيف اعمل على انقاذه .. !

ــ ان لديه هو خطة دون شك ... انى موقنة من هذا ... حسبك أن تنفذ ما يشير به عليك .

ــ سوف أفعل ... بمجرد أن أعود .

وما أن رحل كرامر حتى أصدر زوران أوامره الى كواكو بمضاعفة الحراسة على القديس ، وأن يحول دون اتصال الفتاة به على أية صورة من الصور .

وقال : ــ ولا أريد أن يزعجنى أحد اثناء اعتكافى لاى سبب من الاسباب .

وانصرف كواكو مسرعا لينفذ الاوامر الصادرة اليه ، على حين غرق زوران فى معادلاته الرياضية .

ومر نهار جديد فى الكهف .. نهار حافل بالتفكير عند القديس ، وحافل بالقلق عند جانى .

كان القديس يفكر فى جانى ومصيرها .

لم يكن يخامره شك فى أن زوران ما يزال فى حاجة الى جانى ، وانه لن يحاول أن يتخلص منها فى الوقت الحاضر ، فثمة توكيلات وتفويضات لابد أن تمهرها بتوقيعها .

وذاك هو الضمان الوحيد لبقائها فترة أخرى على قيد الحياة دون أن يمسها اذى .

فى ساعة متأخرة من بعد ظهر ذلك اليوم عاد كرامر الى الظهور يتبعه زنجيان يحملان بعض الحقائب .

وأمر زوران الزنجيين بأن يذهبا بالحقائب الى المعبد — معبد الشباب الخالد .

واغتنم كرامر الفرصة لكى يمضى الى زيارة الاسير .

وتطلع كرامر الى القديس قائلا :

— آه ... انك ما زلت كما تركتك ، لم تنقلب بعد طفلا .... ؟

ثم أردف يسأله فى صوت هامس :

— ألم تقرر شيئا بعد .. ؟ ألم تدبر بعد خطة للفرار .. ؟

فأومأ القديس برأسه ايجابا .

وأمسك بزراع الطيار ، وأدناه منه ثم الصق فمه باذنه ، وهمس :

— حذار .. ! ان زوران يسمع كل كلمة نتبادلها فقد اكتشفت فى زنزانتى أجهزة خفية للاستماع ، فحاول ان تحدثنى بنفس الطريقة ، وفمك فوق أذنى .. هل لديك هنا شيء من المفرقعات .. ؟ قنابل بلاستيك مثلا او اصابع ديناميت .. ؟

فقال كرامر : — أن لدينا منها أطنانا مكدسة . ولكن ما الذى تنوى أن تفعل .. ؟

— جئنى بأصبع أو اصبعين من الديناميت ، وحسبى منك هذا فلست أريد أكثر من ذلك .

كانا يتكلمان همسا ، وكلما أخذهما بزمام الحديث الصق فمه باذن الآخر حتى لا تبلغ كلماتهما أجهزة التجسس .

وتأمله كرامر برهة دون أن يتكلم ، ثم أومأ برأسه موافقا ، واستدار يهم بمغادرة الزنزانة ، ولكن فكرة

فجائية طرأت على ذهنه فردته على أعقابه .
قال للقديس : — كن على حذر ياقديس ... أن المهندس الذى شـيد هذا الكهف جعله بحيث ينهدم ويتاوى وتتساقط منه ألوف الأطنان من الحجارة اذا حاول أحد أن ينسف الباب .. فاذا كان هذا ما تنوى فاعدل عن فكرتك والا سدت الصخور فجوة الباب وبقينا سجناء الكهف الى الأبد .
فابتسم القديس فى استخفاف وهمس :
— لا تخش شيئا .. أننى لست من البلاهة بحيث أنسف الباب .. ان لدى فكرة خيرا من هذه ..
ورفع القديس صوته حتى تحمل أجهزة الاستماع كلماته الى زوران .
قال : — اسمع أيها الصديق كرامر ... ان القديس لا يخاف البروفيسور ولا جهازه الجهنمى ... اننى رجل محصن ضد الموت . أما عن تجربة اعادة الشباب فانى أرحب بها وأتمناها ، وانى لفى لهفة أترقبها بفروغ صبر .
وغادر كرامر الزنزانة ، واتجه من فوره الى مقابلة جانى .
ما أن رأته جانى داخلا عليها حتى ابتدرته وقد استبد بهـا الغضب :
— أخيرا جئت .. ؟ هل أنت سعيد الان .. ؟ ان الوقت يمر سريعا ، وسيمون ما زال رهين زنزانته ... ان فى وسعك انقاذه ، ومع ذلك تتركه فريسة بين يدى زوران .. ! ليت شعرى كيف اختبل عقلى فوثقت فيك واعتمدت على مساعدتك .. أنك تخليت عنى بنذالة .
واقترب منها كرامر وقال فى صوت ينم على الانفعال :
— جانى ... أتوسل اليك أن تثقى بى ... سوف افعل المستحيل من أجلك .

واستطرد كرامر : ــ لقد كنت مع القديس منذ لحظات وقد طلب منى أن أزوده ببعض أصابع الديناميت ... انه مجنون يا جانى ... لو أنه حاول أن ينسف الباب لكانت النتيجة أن ندفن جميعا أحياء تحت الصخور المنهارة .

فقالت : ــ سيمون ليس مجنونا كما تزعم ... انه لا يقدم على خطة الا بعد أن يدرسها ويدرس جميع احتمالاتها ... فاذا كان فى حاجة الى مفرقعات فقدمها اليه ... انه داهية يعرف مواقع قدميه .

ثم أردفت : ــ ومع ذلك فما الذى تبغيه .. ؟ أتؤثر ان تموت على يدى زوران بدلا من أن تموت نتيجة للانفجار المنتظر .. ؟ ما الذى دهاك يا كرامر .. ؟ أأنت جبان تخشى الموت .. ؟

فغمغم الفتى فى انفعال :

ــ انى لست جبانا ... وما تختارينه أنت سأختاره لنفسى ... انى لاكون سعيدا بأن أموت الى جانبك يا عزيزتى ... مصيرك هو مصيرى .

وألقت بيدها على ذراعه وقالت فى رقة :

ــ لماذا قبلت أن تخدم زوران ..؟

فابتسم كرامر فى مرارة وأجاب :

ــ خرجت من السجن ، وكنت عاطلا ... لم أوفق الى عمل ، وكدت أموت جوعا . وعند هذا التقيت بزوران ، فاستخدمنى طيارا لطائرته ، ونقدنى أجرا ضخما . ولم يكن فى وسعى بعد هذا أن أتراجع ... أما الان فالفضل يعود اليك أنت يا جانى .

كانت كل كلمة يتبادلانها تبلغ أذنى زوران عن طريق الميكروفونات الخفية المبثوثة .

واستبد به الغضب والهياج ..

ها هو ذا ساعده الايمن كرامر يخونه ويغدر به من أجل هذه الفتاة .. ! ان نبرات صوته لا تدل على أنه يحاول استدراج الفتاة ، وانما توحى بأنه غـــارق فى غرامها مدله بحبها .

وهب زوران واقفا والثورة تعصف برأسه ، وصرخ:

ــ الويل لهما ... ! لن أرحمهما .. !

وفتح باب الغرفة ، وأشار الى كواكو قائلا :

ــ جئنى بالرجل الابيض .. تمبلار ... أصحب معك ثلاثة من زملائك حتى لا يهرب .

وفرك يديه فى سعادة ورضاء وقال :

ــ انى أريده حيا .. !

الفصل الخامس عشر

كان زوران يبدو منعقد الجبين ، شديد الانهماك فى العمـــل .

القاعة مضاءة بأضواء قوية مركزة ، وهو يروح ويغدو صامتا مفكرا ، يفحص الاجهزة بعناية ، ليستوثق من عدم وجود خلل بها ، ويعيد وزن المواد الكيماوية التى سوف يستخدمها ليتفادى أية غلطة قد تؤدى بالتجربة المنتظرة الى الاخفاق .

وكانت حبات العرق منعقدة فوق جبينه لفرط قلقه وتوتر أعصـــابه .

وفتح الباب المزدوج ، ودخل سيمون تمبلار .

كان الحراس يحيطون به ، وقد شدوا وثاقه ، فيداه مربوطتان وراء ظهره ، وساقاه مشدودتان بحبل لا يكاد يبيح له الا خطوات قصارا تحول دونه والوقوع .

ومع ذلك فقد كان رابط الجأش هادئا ، لم تفقد عيناه

بريقهما الساخر ، وما زالت على شفتيه ابتسامة العابثة .

وابتدر زوران عند دخوله بقوله :

ـــ ما الذى يدعوك يا بروفيسور الى اتخاذ كل هذه الاحتياطات ما دمت أنت الوحيد الذى تعرف سر فتح باب الكهف .

وتطلع اليه زوران دون أن يجيب .

واستطرد القديس يقول بنفس النبرة الهازئة :

ـــ انك كشفت لى يا بروفيسور عن أجهزة التجسس التى بثثتها فى الغرف ، فهل تحسبنى من البلاهة والسذاجة بحيث يثرثر لسانى فاكشف لك خططى ونواياى .

ودائما لم يكن هناك رد .

ترى ما الذى يعرفه هذا المجنون .. ؟ هل اكتشف شيئا .. ؟ أتراه متواطئا مع كرامر .. ؟

وتابع القديس الحديث قائلا :

ـــ انك أوفدت الى طيارك لكى يستدرجنى الى الحديث ولينتزع منى أسرارى متظاهرا بأنه جاء ليساعدنى على الهرب ، فما الذى تنوى بعد ذلك .. ؟

وأطلق زوران ضحكة متسمة بالجنون وقال :

ـــ بعد ذلك سيخلفك كرامر على مائدة العمليات .. ! سيكون هو هدف تجربتى التالية .

وأومأ الى الجهاز الضخم الرابض فى وسط القاعة واستطرد :

ـــ اذا نجحت تجربتك فسأكون فى حاجة الى تجربة أخرى أو اثنتين لاتأكد من سلامة أجهزتى قبل أن أجازف باجراء التجربة على نفسى .

ومشى سيمون مقتربا من زوران فى خطوات قصيرة

بقدر ما تسمح له القدمان المقيدتان ، وقال :

ــ وبهــذه المناسبة ... انك ســتكون فى حاجة يا بروفيسور الى مساعد ينظم لك قوة التيار الكهربائى حسب حاجتك ، فلم لا أكون أنا هذا المساعد .. ؟

ــ لو انك تطوعت لهذا العمل من تلقاء نفسك ايمانا بتجربتى لرحبت بك أشد الترحيب . أما الان فقد فات الاوان ... لقد برهنت تصرفاتك على أنك عدو تناصبنى العداء ، لا صديقا تنشد مساعدتى .

وتأمل القديس الجهاز الجهنمى ، وغص بريقه .

ان هى الا لحظات حتى ينقض عليه هؤلاء الوحوش، ويلقون به فوق مائدة العمليات ، ويشدونه بالسيور المعدنية ، وينطبق عليه القفص الزجاجى .

ثم تدور الالة الرهيبة ، فلا تمضي ساعات حتى ينقلب شابا ولكن بغير عقل ــ بغير قدرة على الفهم والادراك ــ تماما مثل هؤلاء الزنوج .

وما عساه مستطيعا أن يفعل ، وهو مشدود الوثاق بلا حول أو قوة ، يداه موثقتان وراء ظهره ، وقدماه مقيدتان ، لا يملك لنفسه نفعا أو ضرا .

وقال زوران : ــ والان هيا بنا يا مستر تمبلار نبدأ تجربتنا الرائعة ، ولا داعى لان تجبرنى على استعمال القــوة .

ودفع الحراس بالقديس صوب مائدة العمليات .

كان القفص الزجاجى مرفوعا تأهبا لاستقبال الضحية المنتظرة ، وكانت الشرائط المعدنية معقوفة تترقب منه أن يتمدد على المنضدة فتنطبق عليه وتحتويه .

وبكل ما فى وسعه من قوة ناضل تمبلار وكافح ، وحاول أن يرتد الى الوراء متراجعا .

وقال زوران : ــ لحظة واحدة يا كواكو ... ارفع

القيد من يديه ، أما أنتم فأمسكوا به جدا .

ولم تمض لحظات حتى كان القديس راقــدا فوق المنضــدة الرهيبة .

ودارت السيور الجلدية والشرائط المعدنية بمعصميه، وبــكاحليه ، وبجســمه ، ولم يعد أمامه مفــر من الاستسلام .

وأعد زوران مجموعة من الحقن ، ووضــعها على منضدة صغيرة بجانب مائدة العمليات . ثم أخذ يفحص الجهاز فى عناية واهتمام ، ليتفادى اى خلل قد يقضى على التجربة الجهنمية .

كان تمبلار ساكنا مستسلما ، اذ ما عساه يفعل وهو مشدود الوثاق ، وحوله عمالقة لا يرحمون .

فى أشد المآزق حرجا كان ملاكه الحارس يخف دائما الى نجدته ، وحين يدلهم اليأس ويسود الظلام ، اذا بملاكه ينتشله من الهاوية على غير انتظار .

أما اليوم فيبدو ان ملاكه الحارس قد أخذته سنة من النوم ، فغفل عنه ، وتخلى ، وتركه فريسة سلهة بين يدى جلاده المجنون .

لا شىء يمكن أن ينقذه الا أن تحدث معجزة .

وحدثت المعجزة فعلا ، وصحا ملاكه الحارس من النــوم .

ففى نفس هذه اللحظة أسرع ملاكه الى جانى يهمس فى أذنيها :

ــ كيف تتقاعسين .. ؟ كيف تتوانين ..؟ ينبغى أن تبذلى المستحيل كى تنقذى القديس من الدمار .

ولكن انى لهــا السبيل الى انقاذه . وهى نفسها حبيسة غرفة يقوم عليها الحراس الأشداء .. ؟

لقــد أولاها القديس ثقتــه ، وصحبها معــه الى

ماتاكورى ، فكيف تقف مكتوفة اليدين .. ؟ لقد جاء لكى يثأر لعمها فكيف تدعه يلقى مصرعه جزاء شهامته دون ان تحاول أن تبذل له يد العون والمساعدة .

والتفتت الى مارك كرامر وقالت فى انفعال :

ـــ مارك ... أرجوك أن تنصت الى .

وتطلع اليها الطيار الشاب ... كان وجهها متضرجا لفرط انفعالها ، وكانت عيناها تتألقان ، فاحتواه سحرها وازداد افتتانا .

قال : ـــ نعم .. مرى بما تشائين .

وانتهى الى سمعها أزيز خافت صادر من أقصى الكهف .. أزيز يشبه سريان تيار كهربائى قوى .

وبان الروع فى وجه جانى ، وتطلعت الى كرامر وفى عينيها نظرة نابضة بالخوف ا، وتساءلت :

ـــ مارك .. هل تجاسر زوران .. ؟

فأجاب : ـــ **هذا محتمل .**

ـــ وهل القديس هو محل التجربة .. ؟

ـــ ومن سواه .. ؟

وصرخت فى فزع : مستحيل ..؟ يجب أن نعمل .. يجب أن نتحرك .. يجب أن نوقف هذه المذبحة..بأى ثمن ... تعال معى .

فقال معترضا : ـــ ولكن ما الذى فى وسعنا أن نفعل .. ؟

بيد أن جانى لم تكن تحفل بالخطر .. انها لتستهين بكل شيء فى سبيل انقاذ القديس .

وتقدمت الى باب الجناح الذى تقيم فيه ، وتبعها كرامر مأخوذا بفتنتها ، وقد أدار رأسه الحب الذى يضطرم بين جوانحه .

والتفتت اليه تتأمل وجهه ، وكان وجهه تحت بصرها

كتابا مفتوحا تقرأ فيه كل الخلجات التى تعصف بقلبه .
وادركت أنه أصبح ألعوبة بين يديها .
قالت : — قبل كل شىء يجب أن تأتينى بالمتفجرات التى طلبها منك ... الديناميت ... وبعد ذلك نهرع الى زنزانته لنحاول انقاذه ... انك هنا الساعد الايمن للبروفيسور ، ولا أحد يمكن أن يرفض لك أمرا ، وسوف أصحبك ، وإذا حاول أحد من الزنوج أن يعترض طريقك ، فقل انك ذاهب بى اليه .. الى الاب الكبير .
كانا يتبادلان الحديث فى أمان واطمئنان ، غافلين عن أجهزة الاستماع المبثوثة فى أرجاء الجناح ، ولكن زوران — لحسن حظهما — كان فى شغل عنهما بالتجربة الرهيبة التى كان مقبلا عليها . ولو أن كلمة واحدة مما دار بينما انتهت الى مسامعه لكان مصيرهما الهلاك .
وهتفت جانى بالفتى المتيم فى هواها :
— فلنسرع .. فلنسرع ... كل دقيقة تمر معناها الدمار .
فى لهفة وجنون كانت تفكر فى القديس .
كانت تتخيله فى هذه اللحظة طريحا على مائدة العمليات ، داخل القفص الزجاجى الرهيب ، مشدود الوثاق بالاشرطة المعدنية والسيور الجلدية — موشكا أن ينقلب الى معتوه مخبول .
وهتفت فى جزع يمزع الفؤاد :
— يا الهى .. ! ترى هل نصل فى الوقت المناسب .؟
وأخذا يركضان عبر دهاليز الكهف .
وفجأة أمسك كرامر بذراعها ، ودفع بها الى ركن مظلم من الكهف وهو يهتف :
— انتظرى هنا ولا تتحركى .
وانزوت فى الركن لا تعترض ، وتقدم كرامر الى

الزنزانة ، والقى بابها مفتوحا ، ولا أحد فيها .
ورجع اليها يقول : ــ الزنزانة خالية القديس ليس فيهـــا .
فصاحت وقد اشتد بها الفزع :
ــ اذن فقد ذهبوا به الى المعبد .. ؟
ــ دون شك .
ــ اذن هيا بنا اليه .
فشد كرامر على ذراعها وهو يقول :
ــ حذار والا كنا من الهالكين ... ان الحراس يقفون بباب المعبد يحرسونه ، فتلك عادة زوران كلما هم باجراء احدى عمليات الشباب .
ــ ولكنى لا أستطيع أن أتركه يفعل به هذا .
ثم لمست ذراع كرامر ، وفى صوت يفيض رقة وحنانا همست تقول :
ــ مارك ... انك انما تناضل من أجلنـــا ... من أجلنا نحن الاثنين .. الا تعرف ما أشعر به نحوك ..؟
وأمام هذه الكلمات الضارعة تبدد من نفسه كل تردد واحجـــام .
مشى بها بضع خطوات ، وأخفاها وراء أحد الاعمدة الضخمة وقال لها :
ــ دقائق قليلة ثم أعود اليك .
وتوارى عن ناظريها ، ورجع اليها بعد دقائق لا تزيد على خمس .
ولكن هذه الدقائق الخمس بدت عندها وكأنها خمس ســـنوات .
رجع يحمل تحت ذراعه كيسا صغيرا ، ولم يداخلها شك فى أنه ملىء بالمتفجرات .
وسألها : ــ والان ... ما العمل ..؟

ودس يده فى الكيس ، وأخرج أصبعا من الديناميت وقف يترقب أوامر جانى .

مهما كانت أوامرها فانه لن يتردد فى تنفيذها ..! لقد أعماه الحب وشل ارادته ، وعاد لها عبدا خاضعا .

وقالت : — الآن سننقذ القديس .. يجب أن نستدرج زوران الى الخروج من المعبد ، وعندئذ يخلو أمامنا المكان فنبادر الى انقاذه ... هيا استعد يا مارك ...

وأخذت بذراعه ، وحسبها ستمضى به الى المعبد ، ولكنها اتجهت بكرامر الى الدهليز المؤدى الى مكتب زوران .

وقالت له : — الان افتح الميكروفون لنتحدث الى زوران فى المعبد ... ولا تمهله أكثر من دقيقتين . واليك خطتى .

وأخذت تحدثه بالخطة التى دبرتها وأفضت اليه بتفاصيلها .

ثم مالت اليه برأسها ، وطبعت على شفتيه قبلة حانية . وكانت هذه القبلة هى بصمة المعاهدة التى ربطت بينهما .

وضغط كرامر زر الميكروفون ، المتصل بالمعبد وأخذ ينادى :

— بروفيسور .. ! بروفيسور .. ! رد على النداء .. هذا النداء مستعجل ... هيا أجب .

ومرت لحظات حافلة بالقلق .

لو أن زوران أبى أن يجيب لاخفقت الخطة وانهارت.. وأحست جانى بنبضات قلبها تتسارع وتتلاحق .

وفجأة ارتفع صوت البروفيسور يقول :

— ما الذى دهاك يا كرامر .. ؟ أتراك جننت .. ؟

الا تعرف اننى منهمك فى التجربة .. ؟
وقاطعه كرامر بصوت ينبض بالانزعاج :
ــ لقد بلغنى أمر هام يا بروفيسور ... التفويض .
ــ ماذا تقول .. ؟ أى تفويض ..؟
ــ التفويض الخاص بالبنك والذى وقعته مس لويس بامضائها ... التفويض الذى أمليته أنت عليها ... أتــذكره .. ؟
فصاح زوران : ــ يا الهى .. ! وهل هــذا أوان الحديث عن التفويض ..؟ الا ترى أننى مشغول .. ؟
فقال كرامر : ــ ان مس لويس تعتقد أننى انحزت اليها ضدك ، واننى واقع فى غرامها ، فأخذت تكشف لى مكنونات صدرها . وقد علمت منها أنها دست فى التفويض عبــارة لم تلتفت أنت اليهــا ، ولم تسترع انتباهك .
فتساءل زوران : ــ وما هى هذه العبارة .. ؟
ــ هل تذكر يا بروفيسور انك اختتمت التفويض بأن أمليت عليها عبارة : « وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »، ولكنها بدلا من ذلك كتبت : « وتفضلوا بقبول احتراماتى القلبية » ... وهذه الكلمات : « احتراماتى القلبية » حيلة خفية من حيل القديس .. رمز اتفق عليه من مدير البنك عند وصوله الى هافانا ، فيدرك منهــا أن مس لويس اختطفت وانها أجبرت على كتابة أى خطاب يصله مذيلا بهذه الجملة بدلا من عبارة « فائق الاحتــرام » المألوفة .
وساد الصمت برهة ، ثم علا صوت زوران فى لهجة تنم على ما اجتاحه من غضب عنيف :
ــ وأين الفتاة الان ..؟
ــ فى غرفتها ... انها لا تزال شديدة الثقة بى .

فقال زوران : حسنا .. استعد للسفر اذن .. انى قادم اليك من فورى لاملى عليها خطابا آخر .. انتظرنى فى المكتب .

وأسرعت جانى تغادر الغرفة ، وانطلقت مع الطيار الى المعبد ، يسلكان طريقا مغايرا لذلك الذى سيطرقه زوران عند قدومه الى مكتبه .

وما أن تخطى زوران عتبة المعبد حتى تسللت اليه جانى ، وهى تقول لكرامر :

ــ احرس الباب .

كان القديس ممدا على منضدة العمليات مشـدود الوثاق ، فابتسم لها قائلا :

ــ حيلة رائعة ... اسرعى واقطعى التيار .

وضغطت الزر وتوقف التيار الكهربائى ، وبادرت اليه تفك قيوده .

وان هى الا لحظات حتى كان القديس مستقرا على قدميه حرا طليقا .

وهتفت جانى : ــ يا الهى ... ! كلمـا فكرت فى الكارثة التى كانت موشكة أن تنزل بك يقشعر بدنى ، وأكاد أتهاوى غائبة عن الوعى .

فغمغم القديس : ــ شكرا لك يا جانى .. الحق انك رائعـة .

ثم التفت الى كرامر قائلا :

ــ أننا مدينون لك بحياتنا يا كرامر .

فابتسم الفتى وأجاب : ــ انهـا هى التى كانت ترشدنى وتوجهنى .

وقالت جانى ضـاحكة : ــ لقد احتلنا عليـه حتى استدرجناه الى الخروج من المعبد ، ثم هرعنا اليك فى

نفس اللحظة التى كان متجها فيها الى مكتبه لمقابلة مارك .
وقال القديس : ــ ولكننا ما زلنا فى موقف شائك .. علينا أن نلتمس وسيلة نغادر بها هذا الكهف .. أننا ثلاثة ضد واحد ، ولكن تحت أمرة زوران خمسون من الوحوش البشرية متصاعين لاوامره ، خاضعين لايماءة من أصبعه ، ومن المستبعد أن يتمردوا عليه أو يثوروا ضده ــ الا اذا حدث شىء معين يفقدهم ايمانهم بألوهيته ... أما ما عسى يكون هذا الشىء فمسألة ما زالت غائبة عن ذهنى حتى الان .
ثم أردف : ــ ومهما يكن فعلينا الآن أن نطفىء أنوار المعبد ، وأن نتفادى الاصطدام بأعوانه حتى استقر على رأى فى شأنهم . وفى خلال ذلك سأجوس أرجاء الكهف لاتبين معالمه . وكونوا متأهبين دائما للمعركة الكبرى .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة التحدى والنضال ، وومضت عيناه ببريق مخيف .

الفصل السادس عشر

قال القديس يخاطب الطيار :
ــ والان على بالديناميت يا كرامر .
وناوله كرامر الكيس المحشو بالديناميت وهو يقول :
ــ لا تنس يا قديس ما أنذرتك به ... نسف الباب سيؤدى الى انهيار الكهف فوق رؤوسنا .
فأجابه تمبلار : ــ ألا ترى أن هلاكنا تحت الانقاض افضل ألف مرة من أن يلقى بنا ذلك المجنون لقمة سائغة الى جهازه الجهنمى .

وأطلق القديس ضحكة باردة متثلجة تجاوبت بهـا أصداء الكهف الذى يسوده الظلام .

ثم أردف : — ومع ذلك ففى رأسى خطة محكمة .

وقال يخاطب الفتاة : — جانى .. هل أنت متأهبة لان تقذفى بنفسك الى المصير المجهول .. ؟

فأجابت : — ان ثقتى بك عمياء يا سيمون .

فقال : — ولكن يجب أن أنذرك بأننى لا أستطيع أن أعدك بشىء على الاطلاق ... اننى لا أعرف شيئا عن المصير الذى ينتظرنا ... ورغم اننى « قديس » الا أننى أجهل ان كان الجحيم مالنا أو الفردوس .

فقالت : — لست أبالى ما دمت معك .

وقال كرامر : — وأنا أيضـا .

وقال القديس : — لقد خطر لى فى البداية أن أنسف الباب ، أو على الاقل أزعزعه من مكانه . ولكن ما يدرينى اننا قد لا نستطيع الخروج رغم هذا ... ولهذا عدلت عن تنفيذ هذه الفكرة .

فتساءلت جانى : — اذن ما الذى تنوى .. ؟

— لقد لاحظت وأنا راقد على مائدة الشباب الابدى أن زوران كان ينزل دائما الى الطابق السفلى ، وتبينت من ذلك أن هذا الطابق يضم الأجهزة الخاصة بالاضاءة والمياه وتكييف الهواء ، ولذلك سأنسف الطابق الارضى ، ولا أبقى فيه حجرا على حجر .

فقالت جانى فى ارتياع :

— ما هذا الذى تقول يا قديس ..؟ هذا معناه اننا سنقضى نحبنا عطشا لانقطاع المياه ، واختناقا لفساد الهـواء . ؟

فلاحت على شفتى القديس ابتسامة خفيفة وقال :

— ما الذى دهاك يا جانى .. ؟ أما عدت تثقين فى ..؟

ان نسف الطابق السفلى سيؤدى الى تدمير المولدات الكهربائية ، وهـذا بدوره سيؤدى الى قطع التيـار الكهربائى عن باب الكهف . وعند هذا نغتصب الباب دون خوف من أن يصعقنا التيار الكهربائى .. أرأيت ما أرمى اليه .. ؟

واسرع ينزل الى الطابق السفلى .

وكانت هناك أشباح تقترب من باب المعبـد ... أشباح الحراس الزنوج المتعطشين الى الدم ..

كانوا يتقدمون فى خطى حثيثة كالفهد يتربص بفريسته لينقض عليها وينشب فيها مخالبه .

وارتفع صوت زوران يقول :

ــ كواكو ... احرسوا باب المعبد ، وان حاول أحد أن يخرج فاقتله .. اقتله .. !

ــ سمعا وطاعة أيها الاب الكبير .

ــ والان أريد ستة رجال منكم .

وبرز من بين الصفوف ستة من الحراس .

وقال زوران : ــ اثنان يدخلان المعبد فى المقدمة .. واثنان يدخلان فى أعقابهما ، وبعدهما الاثنان الباقيان .. ثم الزموا مكانكم لا تبرحوه ولا تخرجوا مهما حدث .

وفى صوت واحد أجابوا جميعا :

ــ اننا رهن مشيئتك أيها الاب الكبير .

كانت وجوههم صارمة ، وكانت نبراتهم توحى بالعزم والتصميم . ولو انه أمرهم بأن يقذفوا بأنفسهم فى الزيت المغلى لمـا ترددوا أو أحجموا .

وقال زوران : ــ لا تنسوا أن الموت فى سبيل الاب الكبير شرف لا يعدله شرف .

فقالوا : ــ اننا نعرف هذا ياأيها الاب الكبير .

وقالت جانى تخاطب القديس وهى على رأس السلم

المفضى الى البهو :
ـ اسرع .. فان زوران يوشك أن يحطم باب المعبد.
فأجابها القديس من أسفل القبو : ـ لقد أنجزت مهمتى .
وارتقى السلم مسرعا ، وفى يده طرف الفتيل المشدود الى أصابع الديناميت .
من وراء المعبد المغلق كانت تسمع خطوات الحراس وجلبتهم .
وجاءهم صوت زوران يقول :
ـ سلموا أنفسكم فلا مهرب لكم .
وأجابه القديس وهو ممسك بولاعته :
ـ استمع الى يا بروفيسور ... لقد قررت أن أنسف القبو ، واشتعال الفتيل المثبت بالديناميت يستغرق ست دقائق ، وبعد هذه الفترة لن يصبح باب الكهف مكهربا ، وعندئذ يتسنى لى الخروج منه بسهولة .
وأجابه زوران : ـ أولى بك أن تسلم يا قديس .. لقد أصدرت الامر الى رجالى بتحطيم باب المعبد .
ولم يعبأ القديس بأن يرد على الاب الكبير .
وزأر زوران فى رجاله :
ـ هيا يا أولادى .. دمروا الباب ، واقتلوا كل من ترونه فى طريقكم .. الاب الكبير يأمركم .
وانهالت ضربات المطارق والبلط على باب المعبد ، وبدأ يهتز بعنف تحت الضربات العنيفة .
وحدثت ثغرة صغيرة فى الباب نفذ منها ضوء المشى الى داخل المعبد .
وصاح زوران : ـ سلم نفسك يا قديس .
وأشعل القديس طرف الفتيل ، وقال :
ـ أمامك ست دقائق لكى تنجو بنفسك .

وفجأة علا صوت من وراء القديس يصرخ :
ـ اطفئه يا قديس ..! اطفئه يا قديس .. !
وكان هذا هو صوت كرامر .
واستدار القديس يتطلع الى كرامر .
كان وجهه صورة مجسدة للرعب والفزع .
دس كرامر يده فى جيبه ، ثم أبرزها وفى قبضته مسدس مصوب الى القديس .. مسدس يتوعد بالموت من يخالفه .. وفى الوقت نفسه كانت ضربات الزنوج تنهال على الباب محاولة تحطيمه ، ومن خلال الثغرة التى أحدثتها المطارق لمح القديس وجه زوران وعليه ابتسامة فوز وانتصار .
وعرف القديس أنه خسر المعركة .
ألقى بالفتيل المشتعل على الأرض ، وهرسه بكعب حذائه يطفئه .
شهدت جانى هذه اللحظات وهى لا تكاد تصدق ما ترى عيناها أو تسمع أذناها ... جعلت تتأمل كل هذا مشدوهة ، مأخوذة .
وفجأة أفلت زمام أعصابها ، وأخذت العبرات تنساب على وجنتيها .
وغمغمت تقول : أوه .. مارك .. أنت .. أنت ..!
وارتج عليها ، وعجزت عن ن تكمل عبارتها .
وأسند القديس راسها الى صدره وربت على راسها فى حنان وهو يقول :
ـ انفضى عنك الحزن يا ابنتى .
وتمتمت : لقد خاننا .. غدر بنا ..
فقال تمبلار : لعل من الأفضل أن يتكشف لنا الآن ما يضمر وأن نتبين حقيقة نواياه .
وكان الباب قد انهار ، وتقدم زوران الى داخل الغرفة

وهو يعبث بلحيته المدببة ، ووجهه يطفح بشرا .
وقال زوران : انك تقلب الحقائق يا مستر تمبلار .. أتتهم هذا الفتى المخلص بالغدر والخيانة ، فى حين أنه كان وفيا لأستاذه ... ؟
وهز القديس كتفيه بلا مبالاة وقال :
— لعبة رائعة يا بروفسور ، ويجب أن أعترف بهذا ، ولكن لا تنس أننى لم أخسر المعركة بعد .
فأومأ زوران برأسه قائلا : حسبك أوهاما يا مستر تمبلار .
وتحول الى كواكو قائلا :
— كواكو ... اذهب الى اللوحة الكهربائية واضغط الأزرار المرقومة ٤ — ٧ — ١١ على التوالى ، واحدا بعد الآخر .
ومضى زوران يدير عينيه فى جهازه الكهربائى فقال القديس :
— كن مطمئنا .. اننى لم أدمر أجهزتك .. ممـا يؤسف له أن الوقت لم يتسع لى لأسداء هذه الخدمة الى الانسانية . ولكن تيقن أنه لن يهدأ لى بال حتى أراها كومة من الحديد والاسلاك .
فقال البروفيسور فى ازدراء :
— مستر تمبلار ... انى أرى بك ميلا شديدا الى القاء كلمات الوعيد والتهديد ، ومن حسن الحظ أن الكلمات لا تؤذى أحدا .
وأخرج زوران مسدسا من جيبه ، فارتاعت جانى وبدأ الخوف فى عينيها فقال لها :
— لا تفزعى يا عزيزتى جانى فدورك لم يحن بعد ، ولكن اعلمى أنه كلما قل عنادك كان موتك أقل عذابا ..
ثم التفت الى زنجى آخر من أعوانه قائلا :

ــ امسكها يا بينجو .

وتقدم الزنجى من الفتاة ، ووقف وراءها ، وقبض على مرفقيها بيد واحدة .

حاولت أن تتملص من قبضته ، ولكن أصابعه كانت قوية شبيهة بكلابات من الحديد .

وتحول زوران الى القديس قائلا :

ــ لقد هيأت لك فرصة رائعة ، واخترتك لأجرى عليك أروع تجاربى ، ولكنك أبيت وتمردت .. فلعلك اذن تؤثر هذا المصير على المجد والخلود .

وفى بطء رفع يده اليمنى ، مصوبا المسدس الى صدر القديس ، ثم رفع صمام الأمان ، واستقرت أصبعه على الزناد .

وشهقت جانى فى فزع ، وصرخت :

ــ لا .. لا .. سأنفذ كل ما تريد منى .

وكان جوابه : لقد فات الوقت يا جانى .

وهتفت : سأنزل لك عن كل ثروتى .

فقال : هذا ما سوف تفعلين على أية حال .

ــ أتوسل اليك ... لن أشى بك أبدا .. لن أفشى سرك .. اقسم على هذا .. وسيمون أيضا لن يشى بك .. أليس كذلك يا سيمون .. ؟

وكانت اجابة القديس ضحكة رنانة تفجرت فى أرجاء القاعة .. ضحكة تضج بالازدراء والتحدى .

كان فى موقف يائس .. فى مأزق لا فكاك منه . ولكنه ــ حتى فى هذه اللحظة ــ بدا جبارا عنيدا ، لا يكترث ولا يبالى .. بدا ذلك القديس الرهيب الذى يستخف حتى بالموت .

لقد قبل الانذار النهائى ، ورفع قامته شامخا لا يطأطىء الرأس فى مذلة وهوان .

تحول الى جانى قائلا والابتسامة تتلاعب على شفتيه :

ــ هونى على نفسك يا جانى ولا تبتئسى ..! مزيدا من الشجاعة والكرامة .. بحق الشيطان كيف تتوسلين الى البروفيسور .. ؟ أننى أعرف ما سوف يحدث .. فى اللحظة التى تضغط فيها اصبعه الزناد سوف تنسف القاعة .. الجدران ستتهاوى ، والسقف سيخر ساقطا ، والحجارة ستتطاير ، وندفن جميعا تحت الأنقاض .. نعم .. جميعا .. أعنى زوران وأعوانه الزومبى .. ألا تعلمين أننى القديس ، وأن زملائى القديسين يسهرون على حمايتى وانقاذى .. ؟

وصرخ زوران كفى .. كفاك هذرا ..

ورغم صرخته الداوية كان متردداً تخامره الوساوس .

جعل يتأمل المسدس الجاثم فى قبضته ، مفكرا ، محجما .

لقد هز انذار القديس ارادته وزعزع منه اليقين .. ما يدريه أن هناك متفجوات أخرى غير تلك التى أطفأ القديس فتيلها .

واستطرد القديس يتحداه :

ــ اذن ما الذى يقعدك عن أن تضغط الزناد ...؟ هيا .. تشجع يا بنى .. ! انها مجرد حركة واحدة .. ضغطة بسيطة ..! هيا يا بروفيسور .. انى لمتلهف مشوق الى أن أشاهد أنقاض معبدك ..

وانفرجت شفتاه عن أسنانه البيضاء ، وتفجر من عينيه وميض النضال .

ومن حولهم كان العبيد فاغرى الأفواه جاحظى الأعين ، ونظراتهم مركزة على هذا القديس العجيب الذى لا يبالى بالموت ولا يهتز أمام الهلاك .

كلمة واحدة تصدر من بين شفتى زوران كفيلة بأن تجعلهم ينقضون على تمبلار ينشبون فيه مخالبهم — ولكن زوران كان جامدا لا يتفوه بهذه الكلمة ، كأنما أصيب بالخرس . فلماذا .. ؟ لماذا تردد .. ؟ ولماذا أحجم .. ؟

لا بد أن فى هذا الرجل العجيب قوة أكبر وأعظم من زوران .

ولم يطق زوران صبرا ، ولم يعد فى طوقه أن يحتمل أكثر من هذا .

تقدم خطوة الى الأمام ، وأصبعه مازالت فوق الزناد .

وفى نفس اللحظة شعر بذارعين قويتين تطوقانه من الخلف ... وكان هذا هو كرامر .

ولم يحاول زوران أن يقاوم ، أو أن يتملص من الذراعين اللتين تطوقانه .

وقال فى هدوء : تبا لك يا كرامر .. ! لقد حسبتك عاقلا .

وكان جواب كرامر : أولى بنا أن نطلق سراحه .

وجعل القديس يرقب هذا المشهد العجيب .

اذن فكرامر لم يغدر بجانى .. ! ولعله حين حال دون القديس واشعال فتيل الديناميت كان يخشى على حياته .. كان يخشى اذا نسف القبو أن ينهار المعبد على رؤوسهم .

وقال زوران منذرا متوعدا :

— انى أمنحك فرصة أخرى يا كرامر .. راجع نفسك وثب الى رشدك الا تعلم أن كواكو ينتظر كلمة واحدة منى لكى يقتل مستر تمبلار .

فقال كرامر : ولكن هذه الكلمة لن تصدر أبدا من

بين شفتيك .
فتساءل زوران ساخرا : ولم لا .. ؟
ــ لأنك أنت نفسك حريص على حياتك .
وبضربة مفاجئة من يد كرامر طار المسدس من قبضة زوران ، واستقر على الأرض . وفى نفس اللحظة أحس البروفيسور بشىء صلب يسكن بين أضلاعه .
وما كان هذا الشىء الصلب الا فوهة مسدس كرامر .
ــ أتراك جننت يا كرامر .. ؟
ولم يجب الفتى الذى أطار الحب صوابه الا بقوله :
ــ أصدر أوامرك الى الزومبى بأن يطلقوا سراح جانى والقديس .
وغمغم زوران فى صوت ينبض بالغضب :
ــ هى .. ؟ نعم .. أما تمبلار فلا .. محال أن اخلى سبيل القديس .
وصرخ كرامر : الاثنان .. الاثنان معا .. عجل واصدر الأمر والا كسرت ذراعك .
وبدأ يلوى ذراع زوران وراء ظهره ، حتى لقد أحس بأن عظامه وشيكة بأن تتهشم .
وتحول الى كواكو صارخا :
ــ أطلق سراحهما .. الرجل الأبيض والفتاة أيضا .
وتساءل الزنجى : وهل أدعهما ينصرفان أيها الأب الكبير .. ؟
ــ نعم .. نعم .. لهما أن يغادرا الكهف .
وقال كرامر : أرجوك أن تسرع يا قديس .. أرجوك .
ولكن القديس أبى أن يسرع .
قال : مره أن يأمر أعوانه بأن ينفذوا ما سوف أصدر اليهم من أوامر .

وعاد كرامر يلوى ذراع زوران ، فصاح هذا فى كواكو :

ــ نفذ أوامر الرجل الأبيض يا كواكو .

ــ جميع أوامره أيها الأب الكبير .. ؟

ــ نعم .. كل أمر يصدره .

وأومأ القديس الى كواكو قائلا :

ــ والآن .. اليك أوامرى .. عودوا الى أكواخكم .. الزموها ولا تبرحوها مهما حدث .

وتردد كواكو لحظة ، فأسرع زوران يقول حين بدأ كرامر يلوى ذراعه من جديد :

ــ أطعه يا كواكو .. أطعه .. اذهبوا الى أكواخكم ولا تخرجوا منها أبدا .. الى أن يصدر اليكم الرجل الأبيض أمرا بالخروج .

وفجأة بدأ الضباب ينزاح عن عقل زوران .

ــ ترى ما الذى يبغيه القديس من وراء هذا .. ؟

وحين صفا ذهنه جاءه الجواب : لعله ينوى أن يدمر جهاز الشباب الخالد .. ؟

وصرخ : تمبلار .. انى أمنعك .. انى أمنعك .. لا تدمره .. !

الفصل السابع والعشرون

بكل هدوء ، ودون ذرة من التردد مال القديس الى الأرض ، وتناول طرف الفتيل الذى سبق أن رماه وتخلى عنه منذ دقائق .

وبنفس الهدوء أبرز الولاعة من جيبه وأشعلها ، وأدنى اللهب من الفتيل .

وصرخ العلامة زوران فى فزع :

— اختراعى العظيم .. ! ثمرة حياتى وكفاحى ..!
واشتعل طرف الفتيـــل ، ورمى به القديس على الأرض ، وبدأت النار تسرى فى الفتيل متجهة صوب القبـــو .
وفى هذا القبو كانت المولدات الكهربائية — وكانت فيه أيضا أصابع الديناميت .
وصاح القديس : والآن أسرعوا بالخروج قبل أن ينسف القبو وينسفنا معه .
وهرعوا جميعا الى باب المعبد ، عدا زوران الذى كان يحاول أن يقاوم ويتملص وهم يدفعونه الى الخارج .
تملكته رغبة جنونية فى أن ينسف مع أجهزته .
وصرخ : لا .. لا .. لا تدمروا آلهة الشباب ..!
لا تمسوا جوفينشيا .. ! لن أمنعكم من الخروج .. لن أحول دون فراركم .. ولكن ابقوا على جوفينشيا ولا تدمروها .. !
ودفع كرامر البروفيسور أمامه فى عنف صـــوب الدرجات .
وصاح القديس : أسرعوا .. ! ان الدقائق تمر .
وجرى الزنوج الى أكواخهم تنفيذا لأوامر زوران ، وكانوا يتدافعون ويتزاحمون .
وفجأة صرخت جانى وعيناها متجهتان الى أســـفل الدرج .
فهناك كان نفر من الزنوج مدججين بالحراب والخناجر
وأطلق زوران ضحكة جنونية وقال :
— هذا ما توقعت .. ! انهم لم يفهموا أوامرى .. سيمنعونكم بالقوة .. ! لن يسمحوا لكم بمغادرة المعبد .. والآن هيا اطفئوا الفتيل والا متنا جميعا تحت الأنقاض .

وصوب اليه كرامر مسدسه وصرخ فيه :

ـــ مرهم بأن يبتعدوا .. مرهم بأن يخلوا الطريق ؟

وكان جواب زوران :

ـــ اقتلنى ان شئت فلم أعد أبالى .. الموت والحياة عندى سيان ان أنتم دمرتم أمجد أعمالى .

وصاح زوران برجاله : امنعوهم من الخروج .. اقتلوهم .

وتردد كرامر فى اطـــلاق النـــار على زوران ... ما الفائدة .. ؟ ان الرجل قد جن حقا ، ولم يعـــد يبالى بالموت .

وقال كرامر : ما العمل الآن يا قديس .. ؟

وتردد القديس برهة ثم أجاب :

ـــ فلنحاول أن نقتحم طريقنا وسطهم بالقوة .. انهم مسلحون بالخناجر ، أما نحن فسلاحنا المسدسات .. اعطنى مسدس البروفيسور .. هلم بنا فلنحاول .

كانت الثوانى تتـــابع فى جنون ، والخطر الرهيب موشك أن ينقض ، فيدفنون جميعا أحياء تحت الأنقاض .

وصاح القديس بكرامر : شق طريقك مع جانى وسط هؤلاء الوحوش . أما أنا فسأتولى أمر زوران .

ولكن زوران كان أسرع الى العمل .

انفلت من قبضة كرامر ، وارتمى على الأرض ، وبكل قوته أمسك بقدمى القديس ، وجذبهما بكل ما أوتى من قوة .

وكانت مفاجأة لم يتوقعها القديس ، فاختل توازنه وسقط على وجهه .

وقبل أن يرتد واقفا كان زوران قد هب واقفا ، وجرى مسرعا فى اتجاه القبو .

وصرخ فيه كرامر : قف والا أطلقت النار .. !

واحتمى زوران بأحد الأعمدة الضخمة .
وناداه كرامر : ارجع يا بروفيسور .
ولكن البروفيسور لم يرجع .. كان مصمما على النزول الى القبو واطفاء الفتيل قبل أن ينفجر الديناميت .
وفى قفزة واحدة كان زوران فوق رأس درج يفضى الى القبو .
وخلال نفس القفزة أطلق كرامر طلقتين ناريين ، ولكن الرصاصات طاشت ، ولم تصب زوران .
وقال القديس وهو يتطلع فى ساعته :
ـ فلنهرب .. لم تبق الا دقيقتـــان .. هيا الى الأمام .
وأثارت الطلقات النارية الزنوج ، فوقفوا عند أسفل الدرج متحفزين ، ونصـــل خناجرهم تلتمع وتبرق فى الضوء ـ وكذلك أسنانهم .
ولم يعودوا يذكرون الا شيئا واحدا .. كلمـــات الأب الكبير الاخيرة وهو يهيب بهم :
ـ امنعوهم من الخروج .. ! اقتلوهم .. !
وتعالت أصوات بعضهم يقولون :
ـ انهم يريدون أن يقتلوا الأب الكبير .
وصرخ القديس : دقيقة ونصف ليس الا .. الا اذا أفلح زوران فى اطفاء الفتيل .
وانطلق كرامر والقديس يهبطان الدرجات الباقية ، وقد جعلا من جسديهما درعا يحمى جانى .
وبدأ الحراس الزنوج يهاجمون الهاربين ويعترضون طريقهم .
وأطلق كرامر النار ، وتهاوى أحد الزنوج ، ولكن زمـــلاءه لم ينكصوا على أعقـــابهم ، وانمـــا تابعوا الانقضاض .

وثنى كرامر برصاصة أخرى ، وسقط زنجى آخر .

وبلغوا الدرجة الأخيرة ، وشقوا لأنفسهم طريقا وسط الزنوج .

وأطلق القديس رصاصة ، وتهاوى حارس كان يهم بأن يسدد خنجره الى صدر جانى .

وفجأة دوى انفجار رهيب .

وبدأت الأرض تهتز تحت أقدامهم ، وتوالت الانفجارات واحدا بعد الآخر ، وأخذت الاحجار تتطاير .

ودفع القديس بجانى الى الأرض ، وانبطح فوقها جاعلا من جسده سترا يحميها من الأحجار المتساقطة .

واستولى الرعب على الزنوج وصرخوا :

ــ المعبد نسف .. هذه هى النهاية .. سنموت جميعا .

ومضوا يرددون : أين أنت أيها الأب الكبير .. انقذنا أيها الأب الكبير .. ! أنقذنا .. !

وسكنت انفجارات لحظة ، ولكن الجدران أخذت تتداعى .

وجذب القديس ذراع جانى وهو يصيح بها :

ــ الى الامام يا جانى .. !

ونهض كرامر واقفا ، ولكنه أخذ يترنح فى مشيته ، فقد أصابه حجر ضخم كأنه طعنة خنجر .

وتوقفت جانى وارتدت اليه ، ولكنه صاح بهما :

ــ اهربا ولا تشغلان أنفسكما بأمرى .

وصرخ فيه القديس : تعال معنا أيها المجنون .. !

ــ ولكن .. اذهبا أنتما .

ــ لا تضطرنى الى أن أحملك .. استند الى ذراعى

وانطلقوا فى طريقهم مسرعين ، والجدران من حولهم تتهاوى وتتساقط ، واشتعلت الحرائق فى المعبد ، وبدأت

السنة النيران تعلو وتتأجج .

وخلال الكارثة لم يحاول أحد من الحراس أن يطارد الهاربين .

كان كثيرون من الحراس صرعى فوق الأرض .. جثث مسجاة ، ودماء نازفة ، وصرخات وأنين .

ولكن فى غمار هذا كله تناهت الى أسماعهم ضحكة داوية .. ضحكة رجل مجنون .

وما كان هذا الرجل الا العلامة البروفيسور زوران .

الفصل الثامن عشر

الانفجارات تتوالى ، والصخور تتطاير وتتهاوى ، وألسنة اللهيب تمتد وتزأر ، وسحب الدخان تتكاثف وتزهق الأنفاس .

وفى خلال هذا كله الموكب الصغير يتقدم حثيثا ، يتواثب فوق الصخور المتراكمة ، ويشق طريقه وسط هذه الفوضى الرهيبة ، وجانى مســـتندة الى ذراع كرامر ، كأنما تنشد فى قوته وفى شبابه الحماية من المصير الرهيب .

وتحول القديس الى كرامر متسائلا :

ــ أمعك كمية كافية من الرصاص ..؟

ــ معى خزانة محشوة .

وناول تمبلار مسدسه الى جانى قائلا :

ــ استعمليه عند الضرورة ولا تترددى .

ــ والى أين تنوى أنت أن تمضى .. ؟

ــ سأعالج فتح الباب ، فلعلى أوفق .. والآن قفا هنا واحرسا المكان حتى لا يقترب منى مخلوق .

وقالت جانى تنذره :

ــ كن على حذر فان الباب مكهرب .
ــ كان مكهربا .. أما الآن فلم يعد .. كل شىء هنا « كان » ثم لم يكن .
وأسرع الى الباب .
ما من خزانة استعصت على القديس ، فهل ترى يستجيب هذا الباب أو يستعصى . ؟
يكفى أن يجلس أمام أعقد الخزائن يدير القرص يمينـــا ويسارا ، وتسمع أذنه المرهفة تكة التروس وتتداخل ، وتحس أصابعه اللمسات الخفية ــ ثم لا تمضى دقائق حتى ينفتح باب الخزانة ويستجيب .
ان فى أصابع هذا الرجل احساسا سحريا يجعله يدرك ــ بقوة ساحر ان الترس تعشق فى موضعه المـــلائم .
اقترب تمبلار من الباب ، وتناول سيخا من الحديد وقطعة من الخشب ، وأخذ يدفع بها السيخ الحديدى حتى التصق بالباب ، ولم تحدث شرارة كهربائية .
اذن فالباب غير مكهرب .. لقد انقطع عنه التيـــار الكهربائى .
وبدأ القديس عمله .
أمسك بقرص الخزانة ، وفى بطء وتمهل أخذ يديره يمينا ويسارا ، وأذنه لاصقة بالباب يستمع الى تكات التروس .
وبدأت التكة الأولى ، ثم بدأت التكة الثانية ، وتلتها الثـــالثة .
وهتفت جانى وهى فى أقصى الممر تسأله :
ــ هل وفقت .. ؟
وضحك تمبلار وقال :
ــ ومتى أخفق القديس .. ؟

وتعالت صيحات من أقصى الممر ، وأقبل نفر من الزنوج يتقدمهم البروفيسور زوران .

هذا الرجل شيطان .. ! لقد نجا من الموت الذى ترصده فى ألقبو ، وخرج لم يمسسه سوء .

وجاء صوت زوران عاليا من أقصى الممر :

ـــ سيمون تمبلار .. أولى بكم أن تسلموا .. لاسبيل لكم الى الفرار .. ان الباب لن ينفتح ، أولادى متعطشون الى دمائكم .

ولم يجبه القديس اذ كان منهمكا فى عمله .

وتقدم الزنوج ، والخناجر تبرق فى أيديهم ، وأصبح الخطر وشيكا .

وصاح القديس : كرامر . أطلق النار ولا تتردد .

ودوت رصاصة ، وهوى أحد الزنوج صريعا ، وعلت زمجرتهم داوية مخيفة .

وصرخ زوران : اهجموا عليهم .. ! اقتلوهم .. ! الأب الكبير يأمركم .

وتقدموا ، وسقط صريع ثان وثالث .

وأخذ الزنوج يقذفون الهاربين بالحجارة ، واحتمى كرامر وجانى وراء أحد الأعمدة الضخمة .

كان الرجال يتساقطون ، ولكنهم كانوا يتقدمون .

وفجأة هب القديس واقفا وصاح :

ـــ لقد انتهيت .. هيا أسرعوا بالفرار .

ودار الباب على محوره وانفتح .

انفتح على الحرية وعلى النجـــاة .. انفتح على الشمس المشرقة والضوء المتألق والهواء النقى .

وانطلقوا جميعا الى الخارج يركضون ، وفى أعقابهم زوران وأولاده كالوحوش الضارية .

وصرخ القديس : الى الطائرة .. أسرعوا ..

وكان سباق الى الحرية .. أو الى الموت .

وقفز كرامر الى مقعد القيادة فى الطائرة الهليوكوبتر ، ثم لحقت به جانى — أما القديس فوقف عند باب الطائرة ومسدسه فى يده يرد الفهود السوداء التى تتواثب يطق الشرر من عيونهم .

وسقط زنجى آخر مضرجا بدمائه .

وبدأ كرامر يشغل احرك ، وهنا ظهر زوران ، وكان فى يده مسدس ضخم .

صوب زوران مسدسه وصرخ فى القديس :

— سلم نفسك والا صرعتك .

وانطلقت رصاصة ، ولكن القديس كان محصنا ضد الموت .

مرت الرصاصة بجانب أذنه ، ولكنها طاشت ولم تصــــبه .

وأطلق القديس رصاصة ، ولكن رصاصته أصابت ولم تطش ، وترنح زوران ، وهوى الى الأرض ، وقد طار المسدس من يده .

وهنا حدث شىء عجيب .

حملق الزنوج فى الأب الكبير ، ورأوا الدماء تنبثق من جراحه ، فركعوا على الأرض وهم يهتفون :

— مات الأب الكبير .. ! مات الأب الكبير .. !

كانوا يحسبونه الها لا يموت .

وانقلبوا على أعقابهم راجعين .

ومال القديس فوق زوران يفحص جرحه ، وكان جرحا قاتلا ، لا نجاة منه .

وغمغم زوران : عليك اللعنة .. لقد قضيت على عملى المجيد .. ! أعظم اكتشافات العصر الحديث .

واطلق القديس الضحكة الساخرة وهو يقول :

ـ أعظم اكتشافات العصر الجديث .. بل قـل أعظم أعمال الدجل والشعوذة .. ! أتحسب أيها الأب الكبير اننى أجهل سرك .. ؟
فصاح زوران رغم معاناته الموت :
ـ كفى ادعاء وافتراء .
ـ انى لا أفترى ولا أكذب ، وانما اقرر وقائع ثابتة . اتريد أن تعرف اننى لا أجهل سرك .. ؟ اذن فاستمع الى .
وبدأ القديس يروى سر زوران .
العقاقير التى تجدد الخلايا والأنسجة أمر معروف فى الطب ، واذا ما تجددت عاد الشباب أو جزء من الشباب ، فالاطباء يستخلصون من القرود غددا معينة يحقنون بها الشيوخ فيرتد اليهم نشاطهم ، ويعود بهم العمر الى الوراء عشرين عاما .
ـ اليس كذلك يا بروفيسور .. ؟ اتنكر أن هذا أمر معروف فى دوائر العلم ، وأن الاطباء يمارسون هـذا العلاج منذ سنوات .. ؟
واستطرد القديس :
ـ وكل ما هنالك انك كنت أكثر جراة من الأطباء لأنك رجل مجنون ، فاستعملت مع زنوجك حقنا مركزة دون أن تبالى بالنتائج الخطيرة التى تترتب على ذلك ، فهذه الحقن المركزة تؤدى الى اختلال الوظائف البدنية ، وقد يترتب عليها الموت .
كان زوران يستمع ، وامارات الموت تسرى فى معالم وجـهه .
ومضى القديس يقول : ولكنك كنت تريد أن تسيطر عليهم ... كنت تريد أن تجعل من الزنوج عبيدا خاضعين لمشيئتك .. كنت تريد أن يعتقدوا انك اله معبود ..

الأب الكبير . فهل أفضح لك سرك وأكاشفك بما عرفت .. ؟

وغمغم زوران : لا .. لا .. لا تتكلم .

ولكن القديس استمر يتكلم ..

قال : انك كنت تحقنهم بعقار آخر يجردهم من القدرات العقلية .. عقار يجعلهم أشبه بالأطفال لا يفكرون ولا يعارضون ، وبذلك يظلون خاضعين لأوامرك ، واقعين تحت سيطرتك .. أليست هذه هى الحقيقة أيها الأب الكبير .. ؟

وصرخ زوران : عليك اللعنة .. ! عليك اللعنة ..!

ومع صرخته فاضت أنفاسه الأخيرة .

خاتمة

فى فندق ناشيونال فى هافانا كانت جانى تسأل القديس :

ـ والآن ما رأيك .. ؟ هل أتزوجه .. ؟

وسألها القديس : أتحبينه .. ؟

وتضرج وجهها احمرارا وأجابت وهى تطرق برأسها الى الأرض :

ـ أعتقد ذلك .

وقال القديس : اذن تزوجيه ، فالحب يفتح الأبواب المغلقة .. لقد انحرف فى شبابه ، ولكن اقدامه على

ثم أردف ضاحكا :

انقاذك وتنكره لزوران دليل على توبته .



ـ والحب يغفر الخطايا والذنوب .

وفى فندق ناشيونال بهافانا كان مارك يقول للقديس :

— اننى راحل غدا الى أفريقيا حيث أقضى هناك بقية العمـــر .

فقال له القديس : يا لها من مكان قصى بعيد .. ! أتنويان أن تقضيا شهر العسل فى الأدغال .. ؟

فحملق فيه كرامر مشدوها وهو يقول :

— شهر العسل .. ؟ ماذا تعنى .. ؟

— ألا تعلم أيها الغبى أنها تحبك .. ؟

— تحبنى .. ؟ ولكن ماضى .. ؟ سجلى الحافل بالاجرام .. ؟

فابتسم القديس وقال :

— يا لك من أحمق .. ! انك لأشد غباء ممـــا تصـــورت .. ! ألا تعلم ان الحب يغفر الخطـــايا والذنوب .. ؟

* * *

وغفر الحب وصفح ...

والحب حين يغفر — ينسى اعظم الذنوب .

تمت

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٧١ / ٤٦٦١

مطابع الاهـــرام التجارية